قصة القرآن وعلومه

تأليف
د. ياسر عجيل النشمي

تأليف

د. ياسر عجيل النشمي

قسم الفقه وأصول الفقه - جامعة الكويت

فكرة التصميم والإخراج

د. ياسر عجيل النشمي

تصميم وإخراج

شركة الإبداع الفكري للدعاية والإعلان

سامي محمد علي الخطب

الناشر

دار الضياء للطباعة والنشر

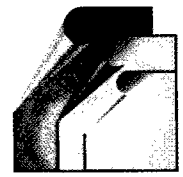

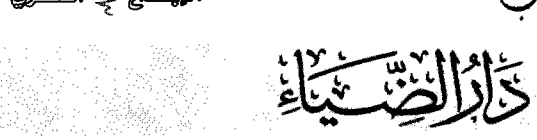

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة لمكتبة دار الضياء، ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزءاً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على إسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً

الكويت - حولي - شارع الحسن البصري

تلفاكس: 2658180 (٩٦٥ +) / نقال: 9396480 (٩٦٥ +)

العنوان البريدي: ص.ب 1346 حولي - الرمز البريدي 32014

البريد الإلكتروني: Dar_aldheyaa@yahoo.com

الموقع الإلكتروني: www.Daraldheyaa.com

الطبعة الأولى

ربيع الأول ١٤٢٨هـ

إبريل (نيسان) ٢٠٠٧م

الموزعون المعتمدون

- **الكويت:**
  دار الضياء للنشر والتوزيع - حولي
  تليفاكس: 2658180 - نقال: 9396480
- **السعودية:**
  دارالمنهاج للنشر والتوزيع - جدة
  هاتف: 6311710 - فاكس: 6320392
  دار التدمرية للنشر والتوزيع
  هاتف: 4925192 - فاكس: 4937130
  المكتبة المكية - مكة المكرمة
  هاتف: 5340822 - فاكس: 53662990
  مكتبة العبيكان - جميع فروعها في المملكة
  هاتف: 90020020209
- **مصر:**
  المكتبة الأزهرية للتراث - القاهرة 9 درب الأتراك خلف الجامع الأزهر الشريف
  تليفاكس 5120847
- **لبنان:**
  بيروت - دار إحياء التراث العربي
  هاتف: 544440 - 540000- فاكس: 850717
  شركة التمام - لبنان - بيروت - كورنيش المزرعة
  هاتف: 1707039
- **سوريا:**
  دار الفجر - دمشق - حلبوني
  هاتف: 2228316 - فاكس: 2453193
  دار الكلم الطيب - دمشق
  هاتف: 2451226 - فاكس: 2227602
- **مملكة البحرين:**
  المحرق - جمعية الإمام مالك بن أنس
  هاتف: 17334350 - فاكس: 17324360
- **جمهورية اليمن:**
  مكتبة تريم الحديثة - تريم
  هاتف: 417130 - فاكس: 418130
- **الأردن:**
  عمان - دار الرازي
  تليفاكس: 4646116
- **الإمارات العربية المتحدة:**
  دار الفقيه - أبو ظبي
  هاتف 6678920 - فاكس: 6678921
  مكتبة الفقيه
  تليفاكس: 6391502
  مكتبة الحرمين للنشر والتوزيع - دبي
  هاتف: 2731979 - 4 - فاكس: 2731969 - 4

هذا الكتاب إهداء إلى ..

إلى من حُرِمَتْ يداي غسل قدميه ...

إلى مَنْ عدمَتْ شفتاي تقبيل ما بين عينيه ...

إلى من افتقد صدري حنانا بين ذراعيه ...

إلى من سُلِبَتْ عيناي نظرا إلى وجنتيه ...

إلى من تشوق للقائنا وما برحنا نعصيه ...

إلى من كان حريصا رؤوفا رحيما ولازلنا نجافيه ...

إلى حبيبي وروحي وقرة عيني وأنيسي ...

محمد صلى الله عليه وسلم

أهدي هذا الكتاب لعلّي أنال شفاعةَ

المقدمة

قصة القرآن وعلومه

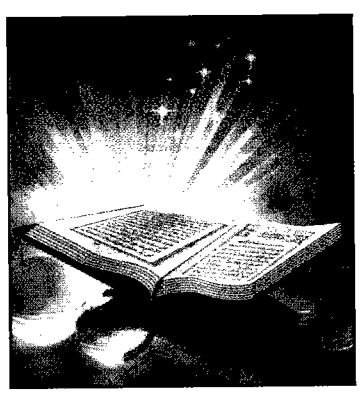

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه، وبعد:

فهذه باقة إبداع جديدة، قشيبة الحلة، ظريفة الخلة، أنثر عبقها دررا ولآلئ فدى لعين حبيبي «الإسلام»، وقرة عين الأنام محمد صلى الله عليه وسلم ف «كم قتيلٍ كما قتلتُ شهيدٍ.. ببياض الطُلى وورد الخدودِ.. وعيون المها ولا كعيونٍ.. فتكت بالمتيم المعمودِ.. شيبُ رأسي وذلتي ونحولي.. ودموعي على هواكَ شهودِ».

أيها الغالي أيتها الغالية:

إن سلفنا الكريم لم يألُ جهدا في رفعة الإسلام ودولته، وكم وددت أن لو مَدَّ الله في عمرهم فأشرف بغسل أرجلهم، وتقبيل موطئ أقدامهم ، ولكن قضى الله على بني البشر ألا خلود، كما كتب بقاء الطائفة المنصورة تذود، وتمسك الراية فتقود، جيل إثر جيل، يسطرون على هام الزمان آيات الفخار، فإن لم تكن أنت وأنا معنيين فمن إذن؟!! أنعيش حينها على هامش التاريخ، ونرقب غيرنا يعمر دنياه و أخراه!! هذا ما تأباه الأنفس الأبية، جعلنا الله في عدادها.

ومن هنا جاءت فكرة «**باقة: بدايات العلماء**» [1]، وأتبعها اليوم – بحول الله وقوته – بباقة جديدة سميتها «**باقة: قصة علوم الشريعة**» [2] خدمة لطلبة العلم الشرعي خاصة، والناس عامة.

وبين أيديكم وردة من تلكم الباقة، وهي: «قصة القرآن وعلومه» فما منا أحد إلا ويسأل.. كيف نزل كتاب ربنا ؟! كيف حفظ في الصدور فلم يزل غضا طريا ؟! كيف دون في السطور فلم يزل مصانا وريا ؟! كم فيه من كنوز العلوم الدفينة؟! ومن ذا الذي استخرجها لآلئ ثمينة؟! وتفاسير فريدة.. وعلوما تليدة؟! مَنْ مِنَ العلماء نذر نفسه لخدمته؟! فسهل لنا فهم آيات الأحكام؟! وأسباب نزول الآيات؟! وهل للتفسير مدارس؟! وما مناهجها؟!.

هذا وغيره تجدونه في هذا الكتاب، تصاحبكم فيه صياغة عذبة، وتقسيمات سهلة وتصاميم جذلة، ومشاهد ومواقف تحكي «قصة القرآن وعلومه» منذ نزل إلى يومنا هذا..

وهذا الكتاب يكاد يختصر ثلاثة كتب وهي:

١- مباحث في علوم القرآن	للدكتور مناع القطان
٢- الوجيز في علوم القرآن	للدكتور صبحي الصالح
٣- الواضح في علوم القرآن	للدكتور مصطفى البغا - د. محيي الدين مستو

ولم أثقل الهوامش بالنقولات اكتفاء بالمراجع السابقة.

ختاما أيها الغالي، أيتها الغالية هاتوا أيديكم لنقضي بصحبة قصة القرآن وعلومه أجمل الأوقات، وأسعد اللحظات يتبع ذلك إتقان لحروفه، وإقامة لحدوده، أعانني الله وإياكم على ذلك، ولا تنسوني بدعوة طيبة بظهر غيب، رعاكم الله.

أخوكم

الدكتور ياسر عجيل النشمي

١- صدر من هذه الباقة: بداية الفقيه، والأصولي، والمحدث، والمعتقد، والنحوي، والمنطقي ، وأسأل الله أن يعينني على تتميمها بـ : بداية الصرفي ، وبداية البليغ.

٢- صدر من هذه الباقة : قصة القرآن وعلومه ، وقصة الحديث وعلومه ، وقصة الفقه وأصوله ، وأسأل الله أن يعينني على تتميمها بـ : قصة اللغة وعلومها.

	المقدمة	3
	الفهرس	4
	الفصل الأول: نشأة القرآن العظيم وتمامه	7
1	المشهد الأول: لمحة تاريخية عن القرآن وعلومه	9
2	المشهد الثاني: القرآن ونزوله	13
3	المشهد الثالث: تفاصيل مراحل جمع القرآن وكتابته	17
4	المشهد الرابع: رسم القرآن ومراحل تحسينه	37
	الفصل الثاني: نشأة علوم القرآن العظيم وتمامها	41
1	المشهد الأول: علم أسباب النزول	43
2	المشهد الثاني: علم معرفة المكي والمدني	45
3	المشهد الثالث: علم القراءات	49
4	المشهد الرابع: علم الناسخ والمنسوخ	53
5	المشهد الخامس: علم المحكَم والمتشَابه والمبهم	57
6	المشهد السادس: إعجاز القرآن العظيم	63
7	المشهد السابع: علم التفسير	67
	المـــراجـــع	86

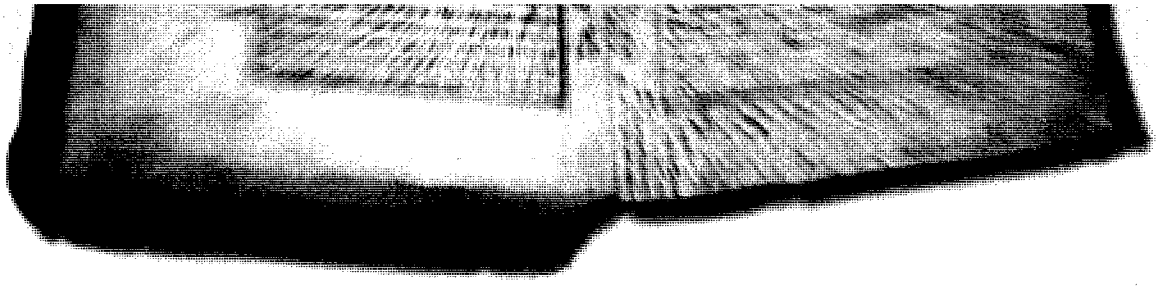

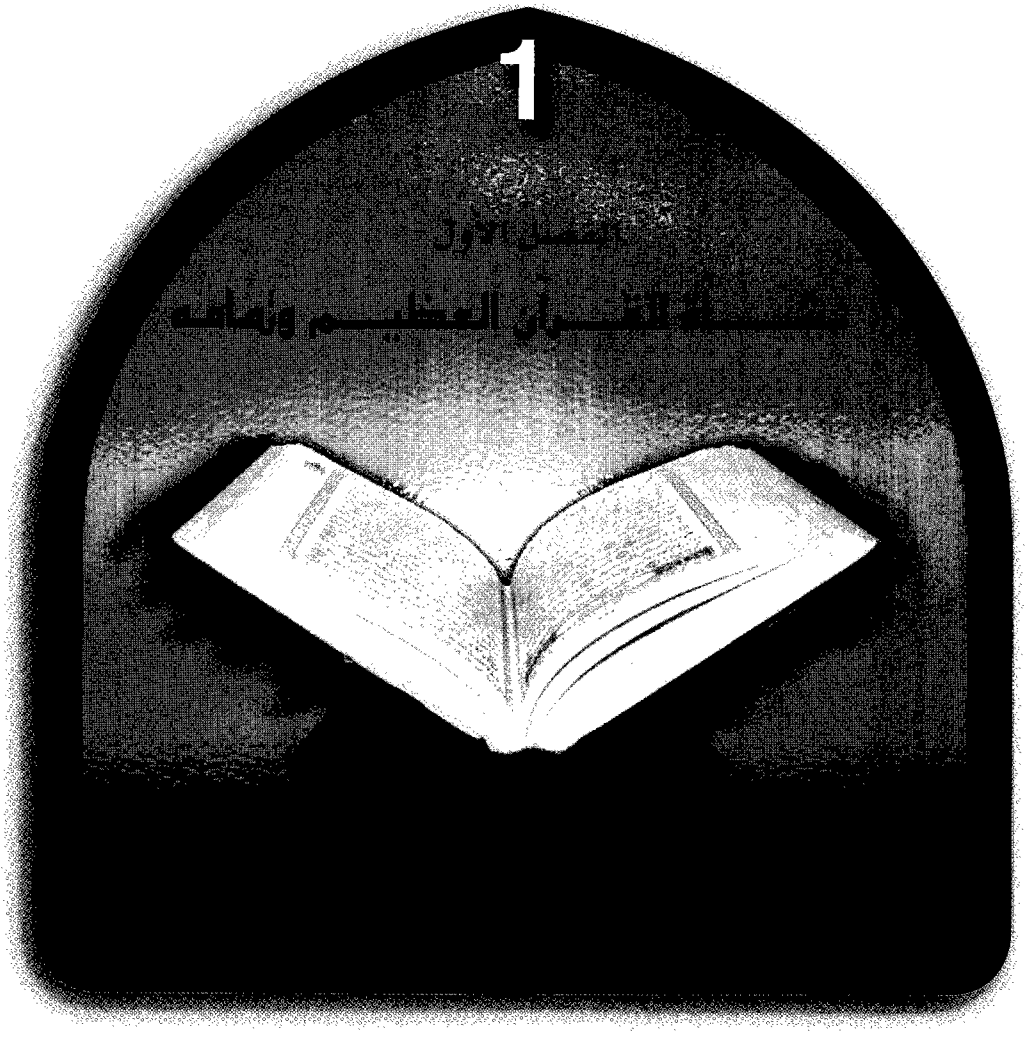

وفيه أربعة مشاهد

1. المشهد الأول: لمحة تاريخية عن القرآن وعلومه
2. المشهد الثاني: القرآن ونزوله
3. المشهد الثالث: مراحل جمع القرآن وكتابته
4. المشهد الرابع: رسم القرآن ومراحل تحسينه

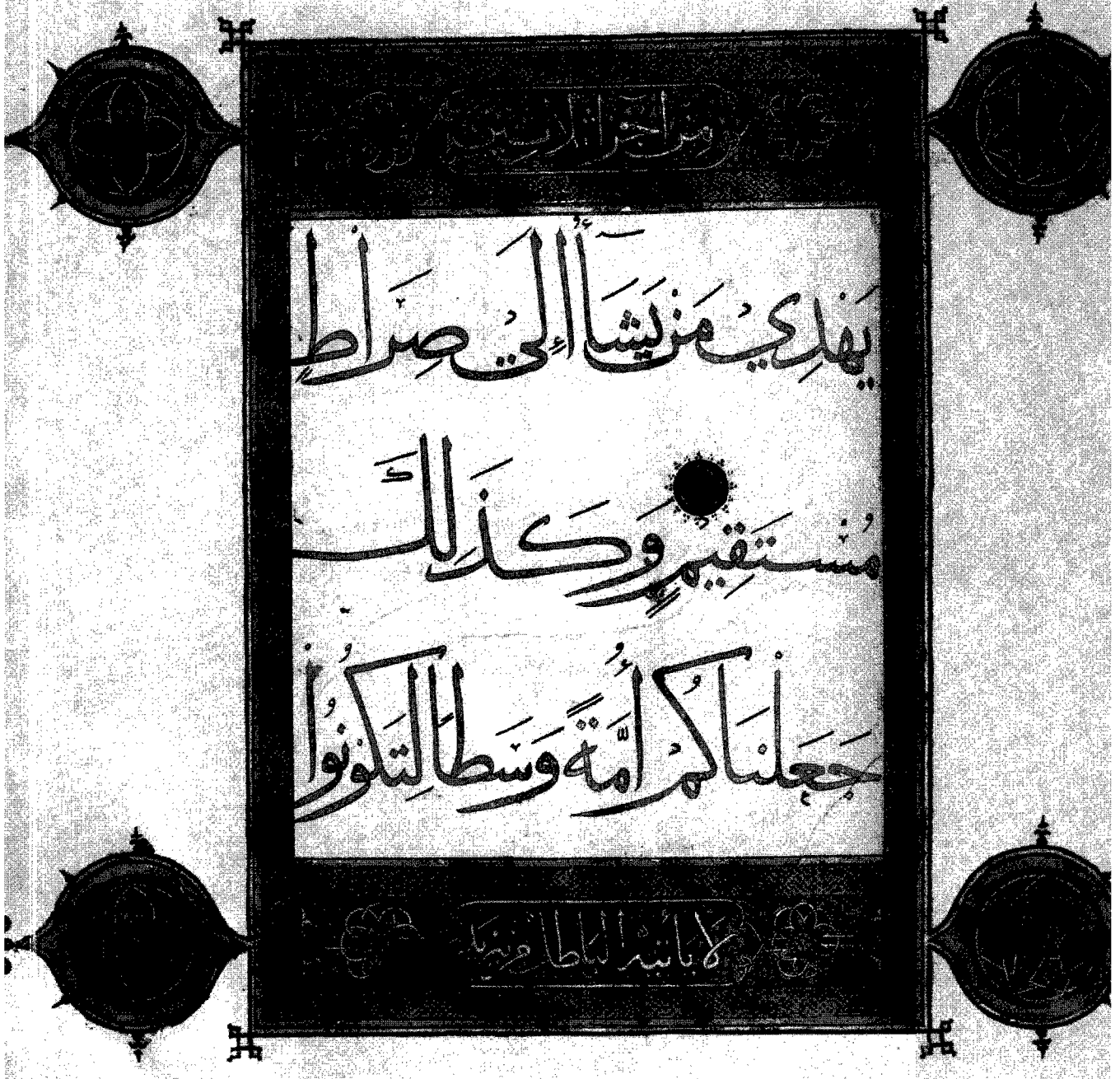
يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ وَكَذَٰلِكَ
جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا

نبذة تاريخية عن القرآن وعلومه

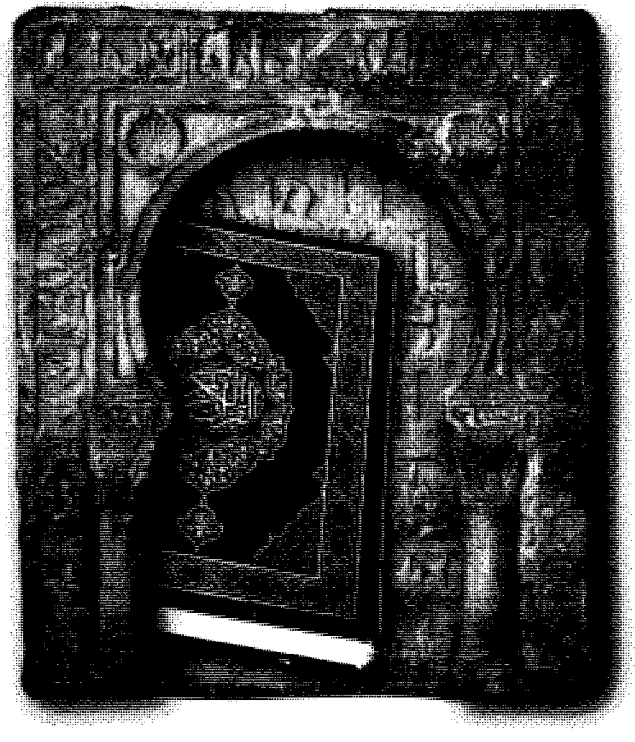

تعريف القرآن الكريم

«اللفظُ العربي، المعجزُ، الموحى بـه، إلى محمد ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام، المنقولُ بالتواتر، المتعبَّدُ بتلاوته، المكتوب في المصحف، المبدوء بسورة الفاتحة، والمختوم بسورة الناس».

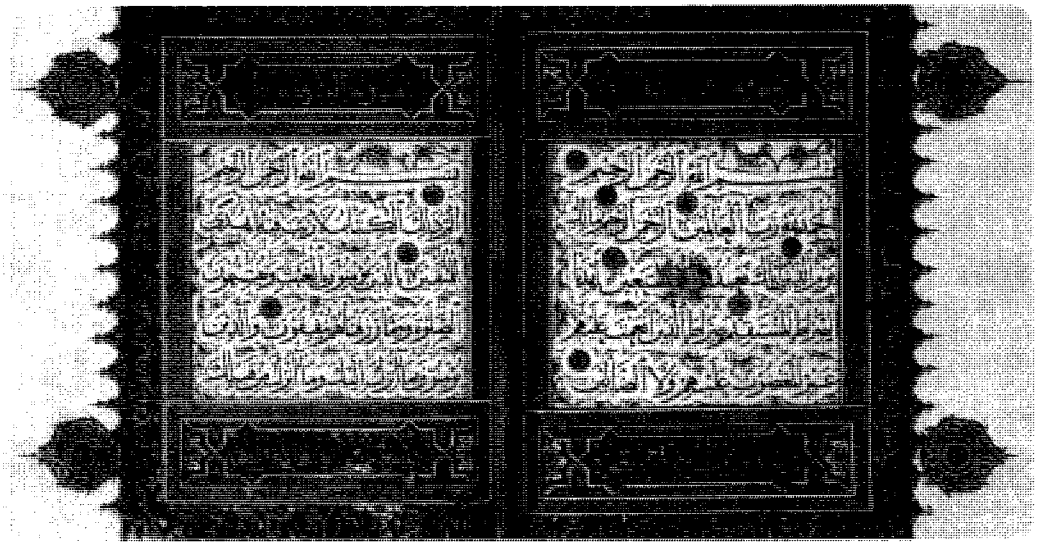

تعريف علوم القرآن

« العلم الذي يتناول الأبحاث المتعلقة بالقرآن من حيثُ معرفةُ أسباب النزول، وجمعُ القرآن، وترتيبه، ومعرفة المكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه وغيرها مما له صلة بالقرآن».

تاريخ القرآن الكريم وعلومه إجمالاً

عهد ما قبل التدوين

لقد كان النبي عليه السلام يتلو على الصحابة القرآن ويشرحه لهم وقد كانوا مؤهلين لفهم بلاغته وبعض أحكامه وذلك بالسليقة فلم تكن هناك حاجة لتدوين القرآن أو تدوين علومه.

عهد التمهيد لكتابة القرآن

جَمَعَ الخليفة عثمان بن عفان القرآن في مصحف واحد ونسخ منه عدة نسخ لباقي الأقطار الإسلامية، فكان هذا أساساً لعلم رسم القرآن.

عهد التدوين

اتجهت الهمم في هذه الفترة إلى التفسير، ونذكر من العلماء المفسرين المبرزين التالية أسماؤهم:

1. شعبة بن الحجاج.
2. سفيان بن عيينة.
3. وكيع بن الجراح.

ومن التصانيف الشهيرة في علوم القرآن:

1. « الناسخ والمنسوخ » لأبي عبيد القاسم بن سلام.
2. « البرهان في علوم القرآن » لعلي الحوفي.
3. « فنون الأفنان في علوم القرآن » لابن الجوزي.
4. « البرهان في علوم القرآن » لبدر الدين الزركشي.
5. « الإتقان في علوم القرآن » للسيوطي.

عهد النهضة الحديثة

كثرة التآليف والابتكار في التصنيف، والجمع، ومن ذلك:

1- «التبيان في علوم القرآن» لطاهر الجزائري.
2- «منهج الفرقان في علوم القرآن» لمحمد سلامة.
3- «مناهل العرفان في علوم القرآن» لمحمد الزرقاني.

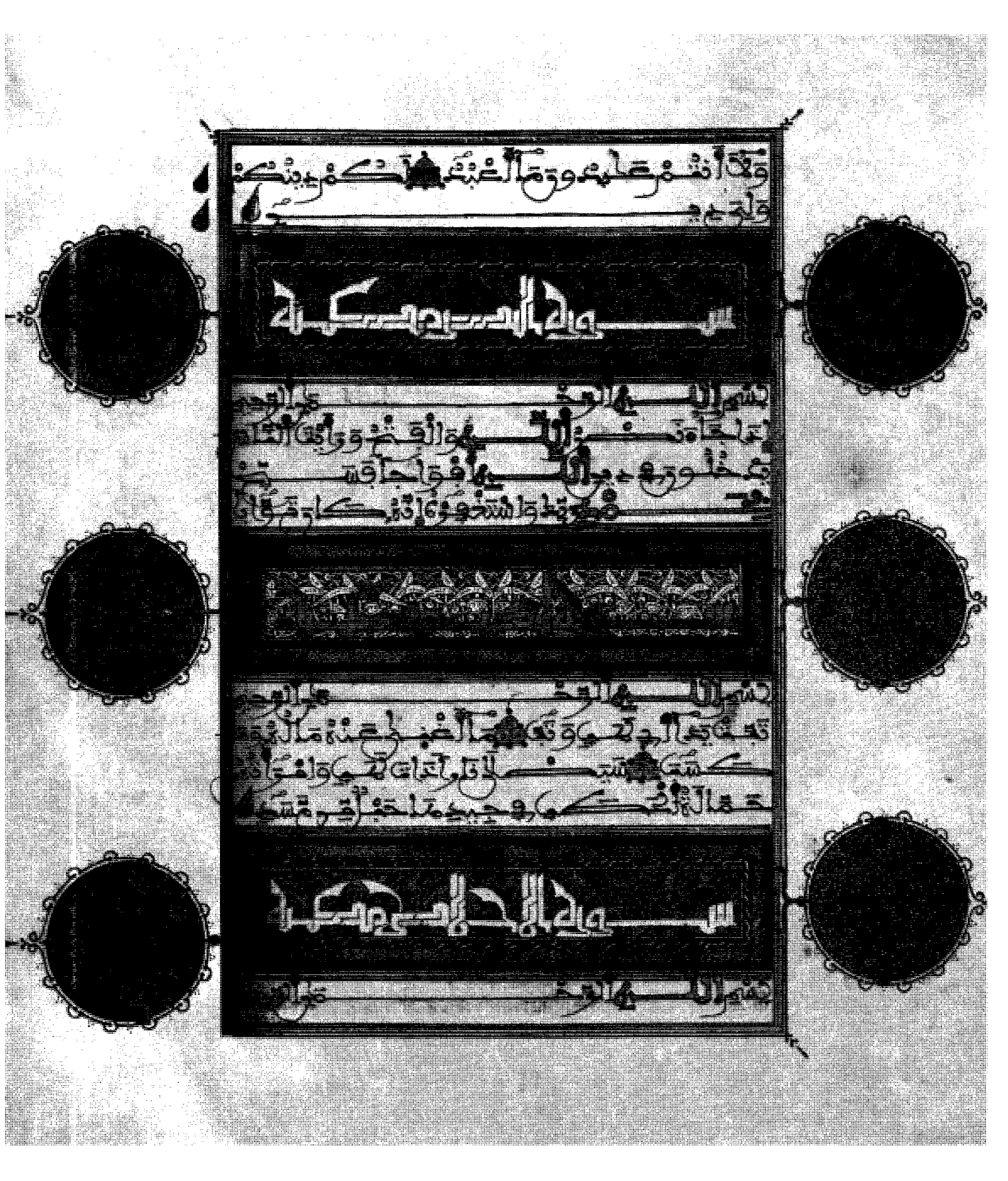

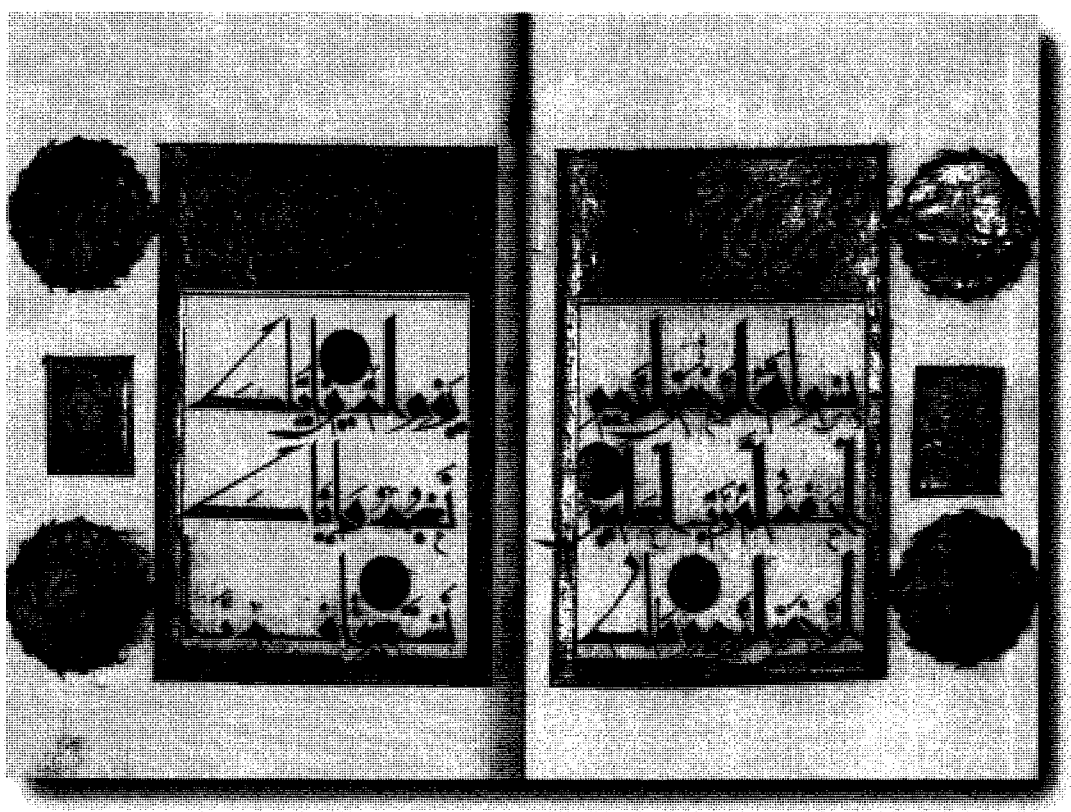

تعريف القرآن الكريم

« اللفظُ العربي، المعجزُ، الموحى به، إلى محمدﷺ، بواسطة جبريل عليه السلام، المنقولُ بالتواتر، المتعبَّدُ بتلاوته، المكتوب في المصحف، المبدوء بسورة الفاتحة، والمختوم بسورة الناس».

للقرآن الكريم تنزلات ثلاث

التَّنَزُّل الأول

إن أول تنزُّل للقرآن هو تنزُّلُه إلى اللوح المحفوظ، قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾. (البروج 21)

التنزل الثاني

ثم كان التنزل الثاني وهو تنزله من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾. قال ابن عباس: فصل القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة من السماء الدنيا، فجعل جبريل ينزل به على النبي ﷺ

(رواه النسائي والحاكم وصححه ووافقه الذهبي)

التنزل الثالث

ثم تنزل القرآن من بيت العزة في السماء الدنيا على قلب النبي عليه الصلاة والسلام بواسطة جبريل عليه السلام مُنَجَّماً، قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۝ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ۝ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾. (الشعراء 193)

ومن حكم نزول القرآن منجماً . أي مفرقاً .

1- تثبيت فؤاد النبي عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾.

2- تيسير حفظه وفهمه.

3- التدرج في التشريع.

4- مسايرة الحوادث.

5- الدلالة على أن القرآن كلام الله وحده، فهو محكم السرد، متقن السَّبْك.

6- توثيق وقائع السيرة النبوية.

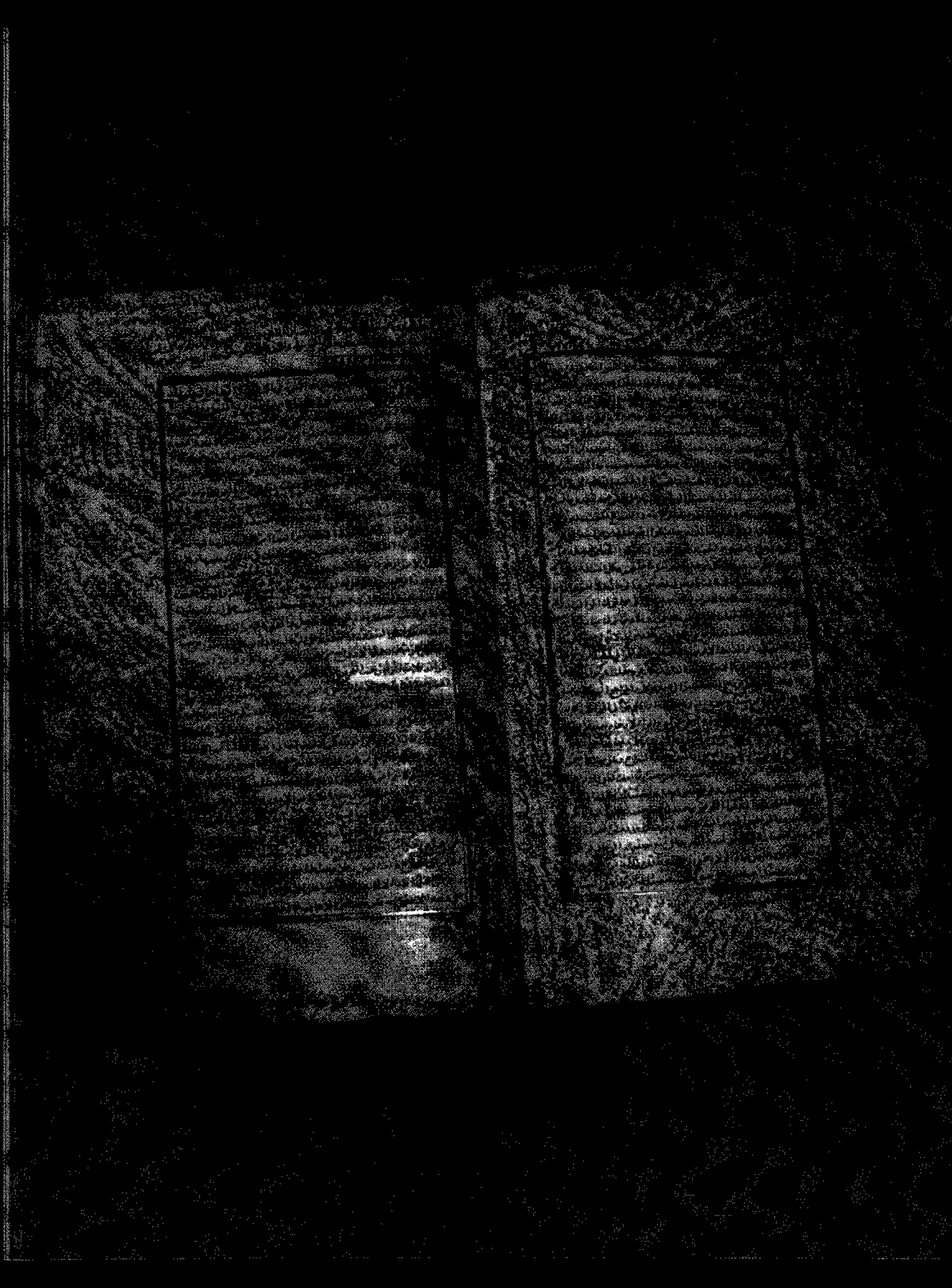

تفاصيل مراحل جمع القرآن وكتابته

وفيه ثلاثة مواقف:

- الموقف الأول: حفظ القرآن وكتابته في عهد النبي ﷺ
- الموقف الثاني: جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق
- الموقف الثالث: جمع القرآن في عهد عثمان بن عفان

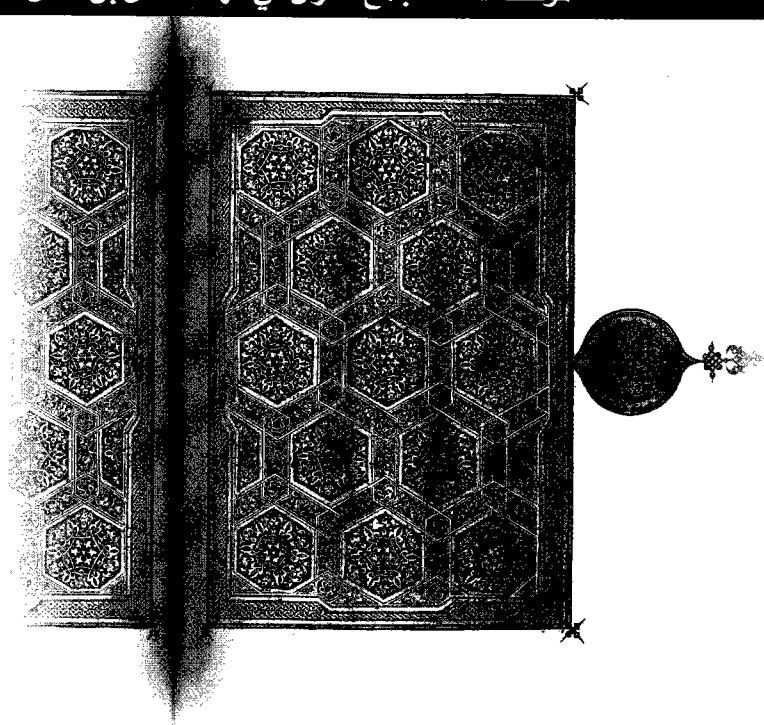

مراحل جمع القرآن وكتابته

عهد النبوة

اقتصر الجمع في عهد النبوة على كتابة الآيات، وترتيبها، ووضعها في مكانها الخاص من سورها، وفق إشارة النبي عليه السلام وتوقيفه، دون أن تكون كل سورة مجموعة في صحيفة واحدة أو أن تكون كل آيات القرآن وسوره في صحائف مجتمعة.

عهد أبي بكر الصديق

تعدى الجمع في عهد الصديق معنى الكتابة فقصد إلى جمع الآيات من كل سورة مرتبة في صحيفة واحدة أو أكثر، وضم تلك الصحف بعضها إلى بعض ولو لم تكن مرتبة السُّور.

عهد عثمان بن عفان

كان الجمع في عهد عثمان - رضي الله عنه - عبارة عن نَسْخ القرآن وكتابته مجتمعاً كله في صحائف، مرتب السور والآيات، مع كتابة عدد من هذه المصاحف.

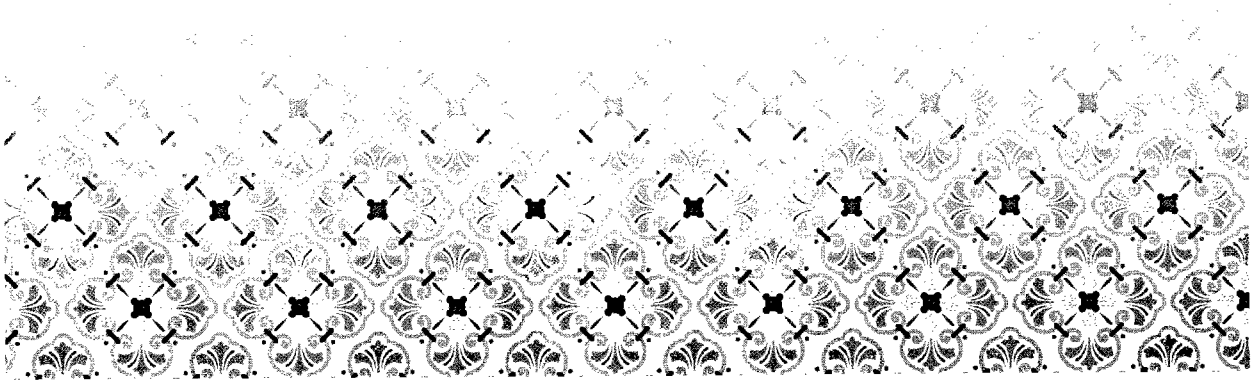

الموقف الأول حفظ القرآن وكتابته في عهد النبي ﷺ

الإضاءة الأولى: حفظ النبي ﷺ

كان رسول الله ﷺ ينتظر نزولَ الوحي بلهفة وشوق، وكانت همته بادئ الأمر تنصرف إلى حفظ كلام الله المنزل وفهمه، ثم يقرؤه على الناس على مكث، ليحفظوه ويستظهروه في صدورهم؛ لأنه ﷺ كان أميّاً لا يعرف القراءة والكتابة، وقد بعثه الله في أمة تغلب عليها الأمية، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولا مِّنْهُمْ﴾ (الجمعة:2). وقد بلغ من حرص النبي ﷺ على حفظ القرآن: أنه كان يردده أثناء نزول الوحي عليه مخافة أن تفوته كلمة أو ينسى حرفاً، حتى طَمْأَنَه ربه عز وجل وتكفل له بحفظه في صدره وعدم نسيانه بعد سماعه من الوحي، قال تعالى: ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ • إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ • فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ • ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾. (القيامة 16). وقال تعالى: ﴿وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا (411)﴾. (طه).

وقال سبحانه: ﴿سَنُقْرِؤُكَ فَلا تَنسَى (6)﴾ (الأعلى). ومن هنا نستطيع أن نعلم أن النبي ﷺ كان أولَ جامعٍ للقرآن في صدره الشريف، وسيد الحفاظ، ومرجعَ الصحابة في حفظهم للقرآن وفهمهم له، وكان يُحْيِي بالقرآن ليله، ويزين به صلاته. وكان جبريل يدارسه إياه في كل عام مرة في رمضان، ودارسه إياه في العام الأخير مرتين. قالت عائشة وفاطمة رضي الله عنهما: سمعنا رسول الله ﷺ يقول: «إن جبريل كان يعارضني القرآن في كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حَضَرَ أجلي»[1].

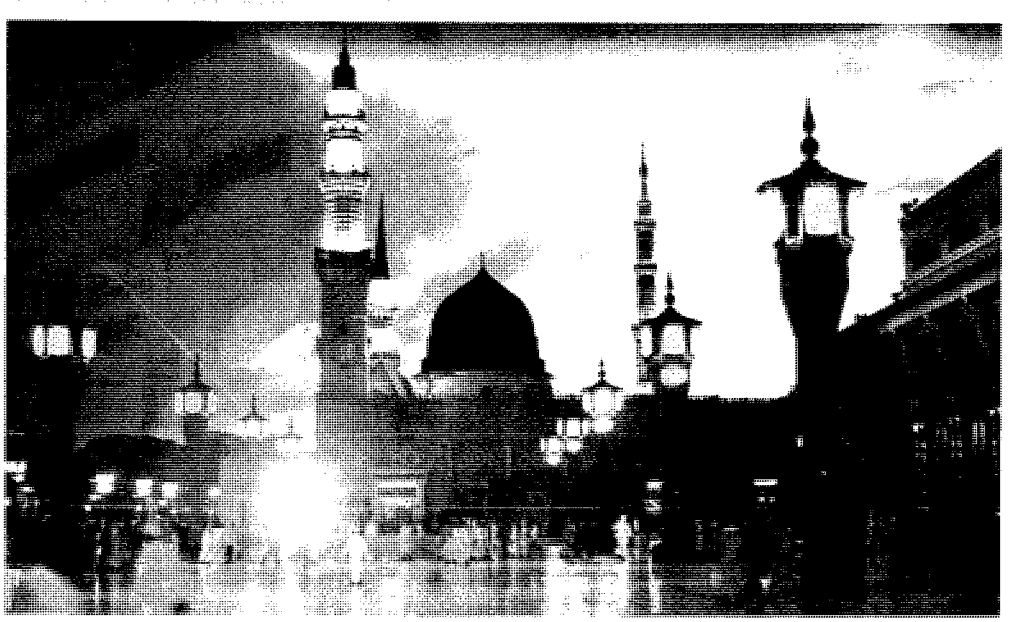

(1) رواه أحمد (6 /282) والبخاري في المناقب (3426).

الإضاءة الثانية: حفظ الصحابة للقرآن

وأما الصحابة الذين كان يتنزل الوحي على رسول الله ﷺ بعلمهم ومشاهدتهم، فكان لهم الأسوة الحسنة برسول الله ﷺ بالإسراع إلى حفظ القرآن واستظهار آياته، وقد ساعدهم نزول القرآن منجماً على الحفظ كما عَلِمْتَ، وأن الأمة العربية قوية الذاكرة بالسجية، يساعدها على ذلك بيئة صافية بسيطة، كما أن الأمي يحاول أن يُعَوِّضَ بالحفظ ما فاته بالقراءة والكتابة.

والنصوص الواردة في كتب السِّيَر والسُّنَن تدل على أن الصحابة كانوا يتنافسون في حفظ القرآن، ويحفِّظُونه أزواجَهم وأولادهم، والنبي ﷺ كان يُذْكِي فيهم روحَ العناية بالقرآن، فيبعث إلى القبائل من أصحابه من يعلمهم قراءة القرآن.

قال عبادة بن الصامت . رضي الله عنه . : «كان الرجل إذا هاجر دفعه النبي ﷺ إلى رجل منَّا يعلمه القرآن».

وكان يُسْمَعُ لمسجد رسول الله ﷺ ضَجَّةٌ بتلاوة القرآن، حتى أمرهم رسول الله ﷺ أن يُخفضوا أصواتهم لئلا يتغالطوا.

وبذلك كلِّه نستطيع أن نؤكد أن حُفَّاظ القرآن من الصحابة في حياة النبي ﷺ جَمْعٌ غفير، ويكفي دليلاً على ذلك أن الذين قُتِلُوا في بئر معونة من الصحابة كان يقال لهم القراء وكانوا سبعين رجلا. قال القرطبي: «قد قُتِلَ يوم اليمامة سبعون من القراء، وقتل في عهد النبي ﷺ ببئر معونة مثل هذا العدد».

وذكر أبو عبيد في كتاب (القراءات) القراءَ من أصحاب النبي ﷺ فَعَدَّ من المهاجرين: الخلفاءَ الأربعة، وطلحة وسعدا، وابن مسعود، وحذيفة، وسالما، وأبا هريرة، وعبد الله بن السائب، والعبادلة، وعائشة، وحفصة، وأم سلمة.

ومن الأنصار: عبادة بن الصامت، ومعاذا . الذي يُكَنى أبا حليمة . ومجمع بن جارية، وفضالة بن عبيد، ومسلمة بن مخلد، وصرح بأن بعضهم إنما كمَّله بعد النبي ﷺ.

وذكر الحافظ الذهبي في (طبقات القراء) أن هذا العدد من القراء هم الذين عَرَضُوا على النبي ﷺ واتصلت بنا أسانيدهم، وأما من جمعه منهم ولم يتصل بنا سندهم فكثير.

والاعتماد على الحفظ في النقل من خصائص هذه الأمة، يقول ابن الجوزي شيخ القراء في عصره: «إن الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور، لا على خَطِّ المصاحف . الكتب . أشرفُ خصيصة من الله تعالى لهذه الأمة. وقد ورد في صفة هذه الأمة: أناجيلُهم صدورُهم، بخلاف أهل الكتاب الذين لا يحفظونه إلا في الكتاب، ولا يقرؤونه كلَّه إلا نظرا لا عن ظهر قلب».

الإضاءة الثالثة: كتابة القرآن في السطور:

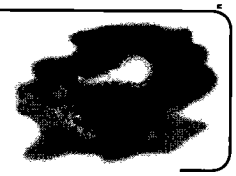

لم يكتف النبي ﷺ بحفظ القرآن في صدره الشريف وفي صدور أصحابه، وإنما كان يأمر بكتابة ما ينزل من الآيات في السطور، واتخذ كُتَّاباً للوحي من أجلاء الصحابة[1]، فتنزل الآية أو الآيات فيأمرهم النبي عليه الصلاة والسلام بكتابتها، ويرشدهم إلى موضعها من سورتها، وكان بعض الصحابة يكتبون ابتداء من أنفسهم، وكانت الوسائل المتوفرة بدائية، وتحتاج إلى مشقة، ومع ذلك كتبوا على العُسب، واللِّخاف، والرقاع، وعظام الأضلاع، والأكتاف.

فقد روي أنه لما نزل على النبي ﷺ قولُه تعالى: ﴿لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾. (النساء: 95) قال ابن أم مكتوم وعبد الله بن جحش: يا رسول الله ! إنا أعميان، فهل لنا رُخْصَة؟ فأنزل الله ﴿غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ﴾ (النساء:95). قال رسول الله ﷺ: «ائتوني بالكتف والدَّوَاة» وأمر زيداً أن يكتبها فكتبها. فقال زيد: «كأني أنظر إلى موضعها عند صدع الكتف». (رواه البخاري)[2]، واقتصر على عبد الله بن أم كتوم، ولم يذكر عبدالله بن جحش).

ورُوِيَ عن ابن عباس . رضي الله عنه. أنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزلت عليه سورة دعا بعضَ مَنْ يكتب، فقال: «ضعوا هذا في السورة في الموضع الذي يُذْكَرُ فيه كذا وكذا»[3]. وقال ﷺ: «من كتب عني شيئا غير القرآن فَلْيَمْحُهُ ﷺ»[4].

وعن زين بن ثابت قال: «كنا عند رسول الله ﷺ نُؤَلِّفُ القرآن من الرقاع». وكان المكتوب يوضع في بيت رسول الله، ولم تكن هذه الكتابة في عهد النبي عليه الصلاة والسلام مجتمعة في مصحف عام».

ومما يدل على اهتمام رسول الله ﷺ بكتابة المصحف وقت نزوله: إفراده بهذه الرعاية، خوف التباسه بالحديث النبوي، فنهى أصحابه أن يكتبوا ما عدا القرآن أوَّلَ الأمر، ففي صحيح مسلم: قال ﷺ: «من كتب عني شيئا غير القرآن فَلْيَمْحُه، وحدِّثوا عني ولا حرج، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»[5].

وقُبِضَ رسول الله ﷺ والقرآنُ محفور في صدور أصحابه، ومكتوب منثور بين الرقاع ونحوها، وكان الجمع بين الطريقتين في عهد النبي المبارك الميمون مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (9)﴾ (الحجر).

---

(1) بلغ عددهم عند بعض العلماء ستة وعشرين كاتباً، وعند بعضهم أربعين.
(2) فضائل القرآن، باب: كاتب النبي ﷺ رقم (4704).
(3) رواه الحاكم في المستدرك (2 /221) وصححه ووافقه الذهبي.
(4) رواه مسلم في الزهد (3004) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
(5) رواه مسلم في الزهد (3004).

الإضاءة الرابعة: ترتيب آيات القرآن الكريم:

ترتيبُ الآيات في القرآن على الشكل الذي نراه اليوم في المصاحف تَوْقِيفي عن رسول الله ﷺ ولا مجالَ للرأي والاجتهاد فيه، وقد نَقَل بعضهم الإجماع على ذلك، منهم الزركشي في (البرهان). وأبو جعفر بن الزبير في كتابه (المناسبات) إذ يقول: «ترتيبُ الآيات في سورها واقعٌ بتوقيفه ﷺ وأمرِه من غير خلاف بين المسلمين».

وجزم السيوطي بذلك فقال: «الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي لا شبهة في ذلك. فكان جبريل ينزل بالآيات على رسول الله ﷺ ويُرْشِدُ إلى موضعها من السورة، فيقرؤها النبي على أصحابه، ثم يأمر كُتَّابَ الوحي بكتابتها في موضعها الذي حدده له جبريل».

واستند الإجماع المنقول في هذا الموضوع إلى نصوص كثيرة وثابتة نختار منها:

❖ ما رواه الإمام أحمد، عن عثمان بن أبي العاص. رضي الله عنه. قال: كنت جالسا عند رسول الله ﷺ إذ شَخَص ببصره، ثم صوبه، ثم قال: «أتاني جبريل فَأَمَرَ أن أضع هذه الآيةَ في هذا الموضع من السورة»(1) يقصد آية ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾. (النحل:90).

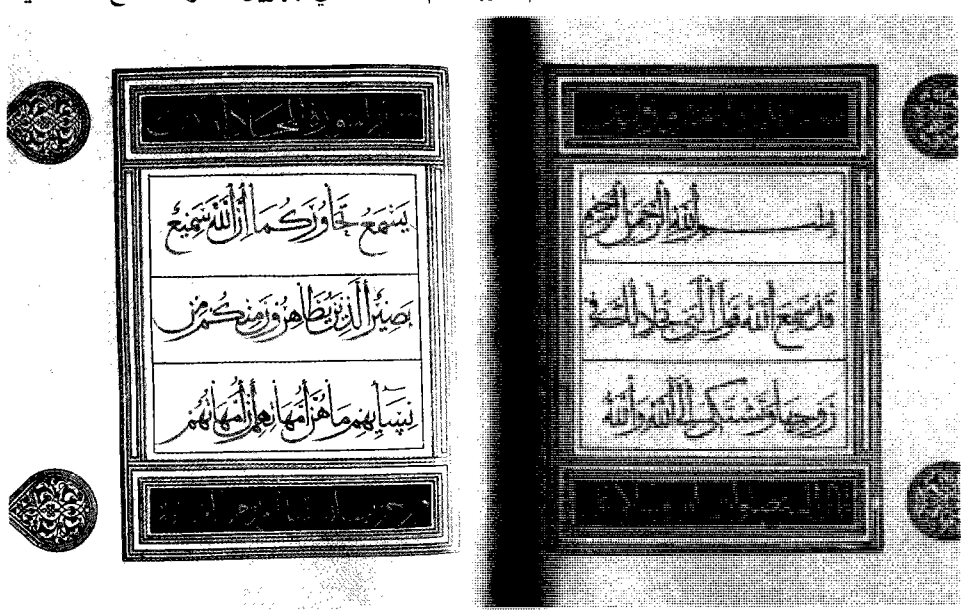

❖ وما أخرجه البخاري عن عبد الله بن الزبير. رضي الله عنه قال: «قلت لعثمان بن عفان ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ (البقرة: 234) نَسَخَتْهَا الآيةُ الأخرى، فلِمَ تكتبها أو تدعها(2) ؟ قال: يابن أخي لا أُغَيِّرُ شيئاً مِنْ مكانه»(3).

---

(1) رواه أحمد (4 /218).

(2) أي: لماذا تثبتها بالكتابة؟ أو تتركها مكتوبة؟ مع أنها منسوخة.

(3) رواه البخاري في التفسير (4256).

الإضاءة الخامسة: سور القرآن وترتيبها:

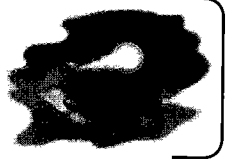

1 ـ أسماء السور: لقد ثبت لنا من نصوص السنة، وانعقاد الإجماع أن ترتيب الآيات في السورة توقيفي، وهذا يجعلنا نجزم بأن تسمية سور القرآن - والبالغ عددها 114 سورة[1] - توقيفي أيضا، إذ لا يمكننا تصوُّرُ وقوعِ الترتيب من رسول الله ﷺ إلا بعد ذكر اسم السورة وتحديد الموضع الذي توضع فيه الآية.

قال ابن عباس . رضي الله عنهما . : «لما نزلت آخر آية على النبي ﷺ : ﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ..﴾. (البقرة: 281) قال له جبريل: « يا محمد، ضَعْها على رأسِ ثمانين ومائتي آية من سورة البقرة»[2].

وأحاديث النبي ﷺ في بيان فضل أكثر سور القرآن كثيرة، وبعضها ثابت في كتب الصِّحاح وغيرها؛ أخرج البخاري وأبو داود والنسائي عن أبي سعيد بن المعلى. رضي الله عنه. قال: «كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله ﷺ فلم أُجِبْهُ، ثم أتيته فقلت: يا رسول الله! إني كنت أصلي. فقال: « ألم يَقُلْ الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾. (الأنفال:24). ثم قال:لأُعلِّمَنَّكَ سورةً هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد. ثم أخذ بيدي فلما أراد أن يخرج قلت له: ألم تقل: لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن ؟ قال: ﴿الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ «هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته ».

وأخرج الحاكم عن أبي هريرة . رضي الله عنه. أنه قال: قال النبي ﷺ : « إن لكل شيء سناماً، وإن سنام القرآن سورة البقرة، وفيها آية هي سَيِّدة آي القرآن: آية الكرسي»[3].

2 ـ ترتيب السور: وكذلك ترتيب السور فتوقيفي أيضا، تولاَّه النبي ﷺ كما أخبر به جبريل عن أمر ربه، وقد عُلِمَ هذا الترتيبُ في عهد النبي ﷺ وهو نفس الترتيب الموجود في مصاحفنا اليوم، وهو ترتيب مصحف عثمان الذي تلقاه الصحابة جميعاً بالموافقة والقبول.

قال ابن الحصار: «ترتيب السور ووضع الآيات مواضعها إنما كان بالوحي، كان رسول الله ﷺ يقول: ضعوا آية كذا في موضع كذا، وقد حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب من تلاوة رسول الله ﷺ، ومما أجمع الصحابة على وَضْعِه هكذا في المصحف».

---

(1) قال الزمخشري في كتابه (الكشاف) عن فوائد تفصيل القرآن وتقطيعه سوراً كثيرة ما نصُه: «منها . أي الفوائد .: أن الجنس إذا انطوت تحته أنواع وأصناف، كان أحسن وأفخم من أن يكون بابا واحداً».

(2) رواه النسائي في التفسير من السنن الكبرى (11057) و (11058).

(3) رواه الحاكم في المستدرك (1 /560) وابن حبان (780) وإسناده ضعيف.

2 الموقف الثاني جمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه

أخرج البخاري في صحيحه: أن زيد بن ثابت - رضي الله عنه - قال: «أرسل إليَّ أبو بكر مقتلَ أهل اليمامة[1]، فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر - رضي الله عنه - : إن عُمَرَ أتاني فقال: إن القتل قد استحَرَّ يوم اليمامة بقُرَّاء القرآن، وإني أخشى أن يستَحِرَّ القتل بالقراء بالمواطن، فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن. قلت لعمر: كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال عمر: هذا والله خير، فلم يزل عمر يُراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر. قال زيد: قال أبوبكر: إنك رجل شابٌّ عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فَتَتَبّع القرآن فاجمعْه. فوالله لو كلَّفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به مِنْ جمع القرآن. قلت: كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال: هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. فتتبَّعْتُ القرآن أجمَعُه من العُسُب، واللِّخاف، وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أجدها مع أحد غيره ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾. (التوبة: 128) حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنه.

(استحَرَّ: كثر وانتشر، العُسُب: جمع عسيب، وهو جريد النخل، واللخاف: جمع لخفة وهي الحجارة البيضاء الرقيقة).

هذا الحديث يوجز لنا عمل أبي بكر - رضي الله عنه - وما كان له من أسباب وما آل إليه أمرُ القرآن في عهده، وما تم له من خدمة، وسنبين لك ذلك مفصلاً.

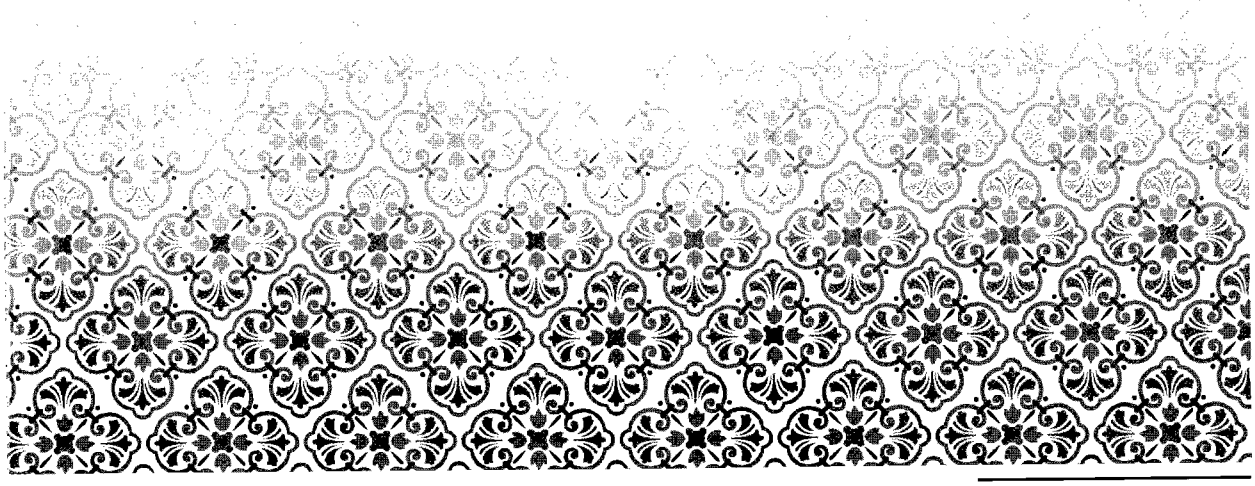

(1) أي: بعد مقتل أهل اليمامة.

الإضاءة الأولى: كتابة القرآن في عهد النبوة:

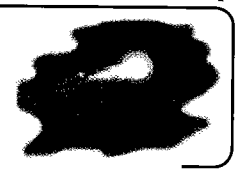

علمنا سابقاً أيها الحبيب الغالي أن القرآن كلَّه كان مكتوباً على عهد رسول الله ﷺ، وأنه لم يَنْقَضِ عهد النبوة السعيد إلا وهو مجموع على النحو الذي علمنا، بيد أنه لم يُجْمَعْ في مصحف واحد، أو صحائف مجتمعة، بل كان متفرقا منشوراً بين الرقاع وغيرها.

روي عن زيد بن ثابت - رضي الله عنه - أنه قال: «قُبِضَ النبي ﷺ ولم يكن القرآن جُمِعَ في شيء».

قال الخطابي: «إنما لم يجمع ﷺ القرآن في المصحف لما كان يَتَرَقَّبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته، فلما انقضى نزوله بوفاته، ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك، وفاءَ وعْدِه الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة، فكان ابتداء ذلك على يد الصديق بمشورة عمر».

وكلامُ الخطابي هذا يبين لنا سِرَّ عدم جمع القرآن بالكيفية التي قام بها أبو بكر رضي الله عنه، ويضاف إلى ما ذكره: أن الأسباب التي اقتضت جمعه على تلك الكيفية - فيما بعد - لم توجد على عهد النبي ﷺ.

الإضاءة الثانية: كيفية جمع أبي بكر رضي الله عنه للقرآن:

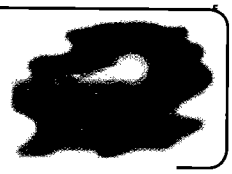

إن الذي أمر به أبو بكر - رضي الله عنه - وتم تنفيذه: هو جمع ما تفرَّق من الرقاع وغيرها، مما كُتِبَ عليه القرآن على عهد رسول الله ﷺ ثم نَسْخُ ما كُتِبَ فيها إلى صفحات مجتمعة، مع مراعاة ترتيب الآيات في السور، حسب توقيف رسول الله ﷺ، لتكون هذه الصفحات محفوظة في دار الخلافة، مرجعاً للمسلمين في معرفة آيات القرآن وسوره، وحفظاً لكتاب الله تعالى من الضياع، أو الزيادة أو النقصان.

الإضاءة الثالثة: سبب القيام بهذا الجمع:

إن السبب الحامل على هذا العمل الذي أمر به أبو بكر - رضي الله عنه - : هو ما كان من مقتل عدد من قراء القرآن وحفاظه في موقعة اليمامة، التي دارت فيها رحى الحرب بين المسلمين وأهل الردة، من أتباع مسيلمة الكذاب.

وكان عدد هؤلاء الحفاظ يَنُوفُ على السبعين، من أجلِهم سالم مولى أبي حذيفة - رضي الله عنه -. وقد هال ذلك المسلمين وأفزعهم، وخافوا على القـرآن - كتابِ اللهِ المنزل - من الضياع بموت الحفاظ ومقتلهم، وكان أشدهم خوفاً وأكثرهم ارتياعاً عمر الفاروق رضي الله عنه، الذي هرع إلى أبي بكر - رضي الله عنه - محذراً ومنبهاً، وأشار عليه أن يتدارك دين الله تعالى، ويأمر بجمع القرآن، ويحفظه بين دفَّتين، قبل أن يموت أشياخ القرآن والحفاظ، فيضيع على الناس شيء من كتاب الله - عز وجل -.

الإضاءة الرابعة: قرار أبي بكر ﷺ وتنفيذه:

تردد أبو بكر - رضي الله عنه - بادئ الأمر في اقتراح عمر - رضي الله عنه -، لما كان يأخذ به نفسه من الوقوف عند حدود ما كان عليه رسول الله ﷺ ولكن عمر - رضي الله عنه - مازال يراجعه في ذلك، ويبين له وجهَ المصلحة بهذا العمل، وأنه يُرَادُ به خيرُ الأمة وحفظ الدين، حتى شرح الله تعالى صدره لذلك، وتجلت له الحكمة وتبين وجه المصلحة.

وما أن اقتنع - رضي الله عنه - بصواب الفكرة حتى اهتم لها اهتماماً بالغاً وسعى لتحقيقها، فأخذ يُجيلُ النظر ويُعْمِلُ الفكر، فيمن يصلح للقيام بهذا الأمر الجليل، فاهتدى بنور الله تعالى، ووقع اختياره على زيد بن ثابت رضي الله عنه، لما اجتمع فيه من مواهب، واختص به من مزايا، لها كبيرُ أثرٍ في هذا الأمر الخطير، لم تجتمع في غيره من الصحابة. فهو من حفاظ القرآن، ومن كتاب الوحي لرسول الله ﷺ، وممن شهد العرضة الأخيرة للقرآن في ختام حياته ﷺ.

وهو إلى جانب ذلك كان معروفا بخصوبة العقل، وشدة الورع، وعظم الأمانة، وكمال الخلق، واستقامة الدين. كل هذه الصفات وغيرها رجَّحت لدى أبي بكر - رضي الله عنه - أنه أولى من يقوم بهذا العمل، وأكد ذلك عنده أنه استشار فيه عمر - رضي الله عنه - فوافقه على اختياره.

أرسل أبو بكر إلى زيد - رضي الله عنهما - ولما حضر عرض عليه الأمر، وبين له الأسباب الداعية إليه، وإشارة عمر في الموضوع، وما كان منه من تردد ثم اقتناعه بذلك، وأنه وقع الاختيار عليه للقيام بهذه المهمة، لما يعهد فيه من صفات. ولكن زيداً - رضي الله عنه - لم يكن أقل تردداً من أبي بكر - رضي الله عنه - بادئ الأمر، وهاب الموقف واستثقل المسؤولية، ولكن أبا بكر ما زال به حتى أقنعه بصواب ما ندب إليه، فاطْمَأنت نفسه، وسكن قلبه، وشرح الله صدره، فَشَرَعَ بالعمل العظيم، يشرف عليه، ويعاونه كبار الصحابة، وعلى رأسهم أبو بكر وعمر رضوان الله عليهم أجمعين. واستمر العمل حتى تم لهم ما أرادوا، وأتم الله تعالى عليه نعمته، وأكمل لهم دينهم الذي ارتضى لهم.

الإضاءة الخامسة: منهج زيد ﷺ في الجمع:

لقد اتبع زيد في جمعه القرآن منهجاً قويما، وطريقة دقيقة محكمة، وضعها له أبو بكر، وساعده على تنفيذها صاحب الرأي عمر، رضوان الله عليهم أجمعين.

أخرج ابن أبي داود: «أن أبا بكر - رضي الله عنه - قال لعمر وزيد - رضي الله عنهما -: اقْعُدا على باب المسجد، فمن جَاءَكُمَا بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكْتباه».

وأخرج أيضا: «عن عبد الرحمن بن حاطب قال: قدم عمر فقال: من كان تلقَّى من رسول الله ﷺ شيئاً من القرآن فَلْيَأت به، وكانوا يكتبون ذلك في المصحف والألواح والعُسُب، وكان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شاهدان».

قال ابن حجر: المراد بالشاهدين الحفظ والكتابة.

وكلام السخاوي في (جمال القراء) يفيد: أن المراد بهما رجلان عدلان، فإنه قال: «المراد أنهما يشهدان على أن ذلك المكتوب كُتِبَ بين يدي رسول الله ﷺ».

والذي يدل على ما أفاده كلام السخاوي ما أخرجه ابن أشته في (المصاحف) عن الليث بن سعد قال: «أول من جمع القرآن أبو بكر، وكتبه زيد، وكان الناس يأتون زيد بن ثابت، فكان لا يكتب آية إلا بشاهدَيْ عَدْلٍ».

الإضاءة السادسة

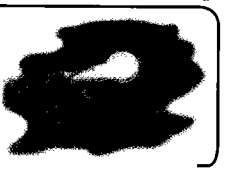

طريقة زيد بن ثابت - رضي الله عنه - في جمع القرآن:

اعتماد المصادر

اعتمد - رضي الله عنه - مصدرين يأخذ منهما آيات الله تعالى هما:

1- ما كُتب بين يدي رسول الله ﷺ من آيات على الرقاع ونحوها.

2- ما كان محفوظا في صدور الصحابة من قرائهم.

الاستيثاق

كان - رضي الله عنه - يستوثق مما يجمع من الآيات على أساسين:

1- لا يقبل شيئا محفوظا إلا إذا دُعِّم بالكتابة من الحافظ.

2- لا يقبل ما كان مكتوبا إلا إذا شهد شاهدان أنه كُتب بين يدي النبي ﷺ.

مزايا الطريقة

1 ـ جمعت القرآن بجميع آياته وسوره بأسلم طريقة في التثبت العلمي.

2 ـ اقتصرت على ما لم تُنسخ تلاوته، ولذلك لم يثبت فيها آية الرجم لأنها نسخت تلاوتها.

3 ـ ظفرت بإجماع الأمة عليها وتواتر ما فيها.

الإضاءة السابعة: الدقة والحذر في جمع القرآن:

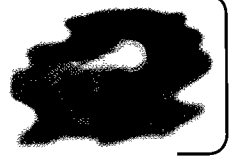

وإذا علمنا أن زيد بن ثابت - رضي الله عنه - كان حافظاً لكتاب الله تعالى، وأحدَ كتاب الوحي، وكذلك كان مساعده في الجمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أدركنا مدى الدقة والحيطة والحذر، ومدى التحري الشامل، الذي أخذ المسلمون به أنفسهم، في كتابة آيات الله تعالى وتبليغها، حيث لم يكن أحدهم ليكتفي بما حفظ في قلبه، ولا بما كتب بيده، ولا بما سمع بأذنه، حتى يضم إلى ذلك وثائق أخرى، زيادة في الوثوق، ومبالغة في الاحتياط، وإبعاداً للشك والارتياب. ولقد كانت هذه الشدة في المنهج نابعة عن الشعور بعظم المسؤولية وخطورة العمل، الذي عبر عنه زيد - رضي الله عنه - بقوله: «فوالله لو كلَّفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن».

وهذه الدقة وهذا الحذر هو الذي يفسر لنا قول زيد - رضي الله عنه - : «حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أجدها عند غيره» ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ (128)﴾ (التوبة) حتى خاتمة براءة. فالمراد أنه لم يجدها مكتوبة عند غيره، وليس المراد أنه لم يجدها محفوظة عند غيره، وإلا فقد كان هو وكثير من الصحابة يحفظونها، وإنما أراد أن يجمع بين الحفظ والكتابة، ولذلك تأخر في إثباتها حتى وجدها مكتوبة عند أبي خزيمة رضي الله عنه. بل إنه توقف في بادئ الأمر عن كتابتها لأنه لم يشهد لديه شاهدان على كتابتها بين يدي رسول الله ﷺ حسب منهجه، ثم كتبها أخيرا بعد أن توفر لديه ذلك.

الإضاءة الثامنة: مكانة هذه الصحف:

لقد استغرق عمل زيد - رضي الله عنه - سنة كاملة، وكان الانتهاء أواخر السنة الثانية عشر للهجرة، ومن أن انتهى - رضوان الله عنه - من عمله، وأبرز تلك الصحف حتى استقبلها الناس بما تستحق من عناية فائقة، فحفظها أبو بكر - رضي الله عنه - عنده بقية حياته، ثم كانت عند خليفته أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - مدة خلافته، ثم انتقلت إلى دار حفصة أم المؤمنين بنت عمر - رضي الله عنهما -، عملا بوصية أبيها أمير المؤمنين، حيث لم يكن الخليفة الجديد معروفاً بعد، بل كان الأمر شورى بين ستة اختارهم عمر - رضي الله عنه - كما هو معروف.

هذا إلى جانب ما كانت عليه حفصة - رضي الله عنها - من مكانة تجعلها أهلا لهذه المكرمة، فهي فوق أنها زوج رسول الله ﷺ حافظةٌ لكتاب الله تعالى، تقوم به آناء الليل وتتلوه أطراف النهار. ثم كانت هذه الصحف مرجعاً لعمل عثمان - رضي الله عنه - الذي ستعرفه فيما بعد.

الإضاءة التاسعة: أسبقية وفضل:

لقد كان هذا العمل الجليل منقبة من مناقب أبي بكر - رضي الله عنه - وخدمة عظيمة من جملة خدماته لدين الله تعالى، فقد كان جمع القرآن في صحف مجتمعة على ذلك النمط الذي عرفت، وتلك المزايا التي علمت، عملاً جديداً لم يسبق إليه أحد قبل أبي بكر - رضي الله عنه -.

أخرج ابن أبي داود في (المصاحف) بسند حسن عن علي - رضي الله عنه - أنه قال: «أعظم الناس في المصاحف أجراً أبو بكر، رحمة الله على أبي بكر، هو أول من جمع كتاب الله».

وقد شارك أبا بكر في هذه الأسبقية عمرُ بن الخطاب باقتراحه وزيد بن ثابت بعمله وتنفيذه، فرضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

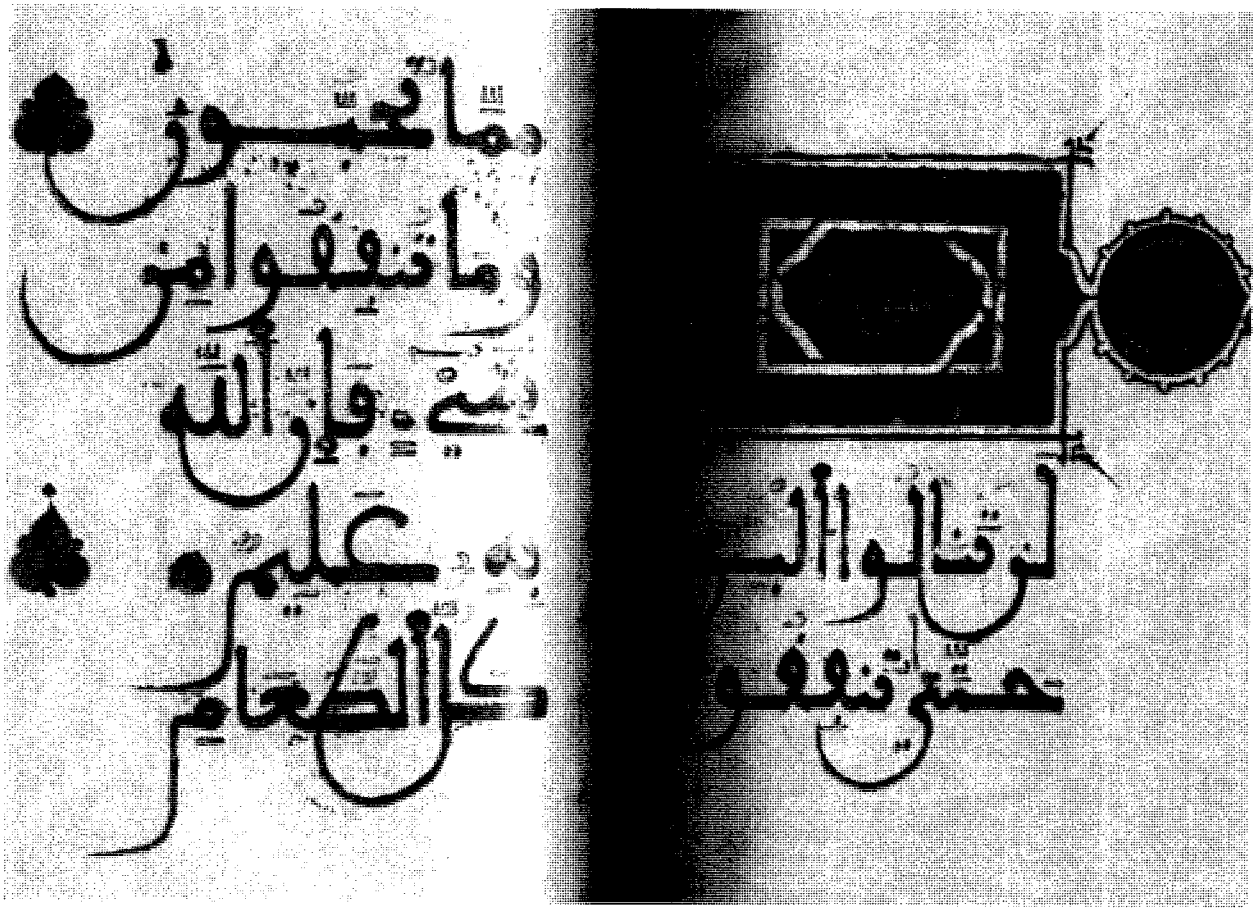

3 الموقف الثالث: جمع القرآن في عهد عثمان رضي الله عنه

مجمل ما جَدَّ في عهد عثمان رضي الله عنه:

إن الذي قام به عثمان - رضي الله عنه - وأمر به، هو كتابة عدد من النسخ عن ذلك المصحف الإمام، الذي جمع على عهد أبي بكر - رضي الله عنه -، وأجمع عليه المسلمون، واعتمده الخلفاء الراشدون المهديُّون، مع مراعاة ترتيب السور في هذه النسخ، إلى جانب ما كان في الأصل من ترتيب الآيات، وأن يكون الرسم صالحاً لوجوه القراءات وأحرف القرآن السبعة التي نزل بها، ثم إرسال تلك النسخ إلى الأمصار والأقطار، ليجتمع الناس عليها، وتكون مرجعاً في قراءة القرآن لفظا وأداءً، وتحسم مادة النزاع، والشقاق، ولا يبقى للعُجْمَة واللهجات المختلفة سبيل إلى اختلاف الناس في كتاب الله تعالى.

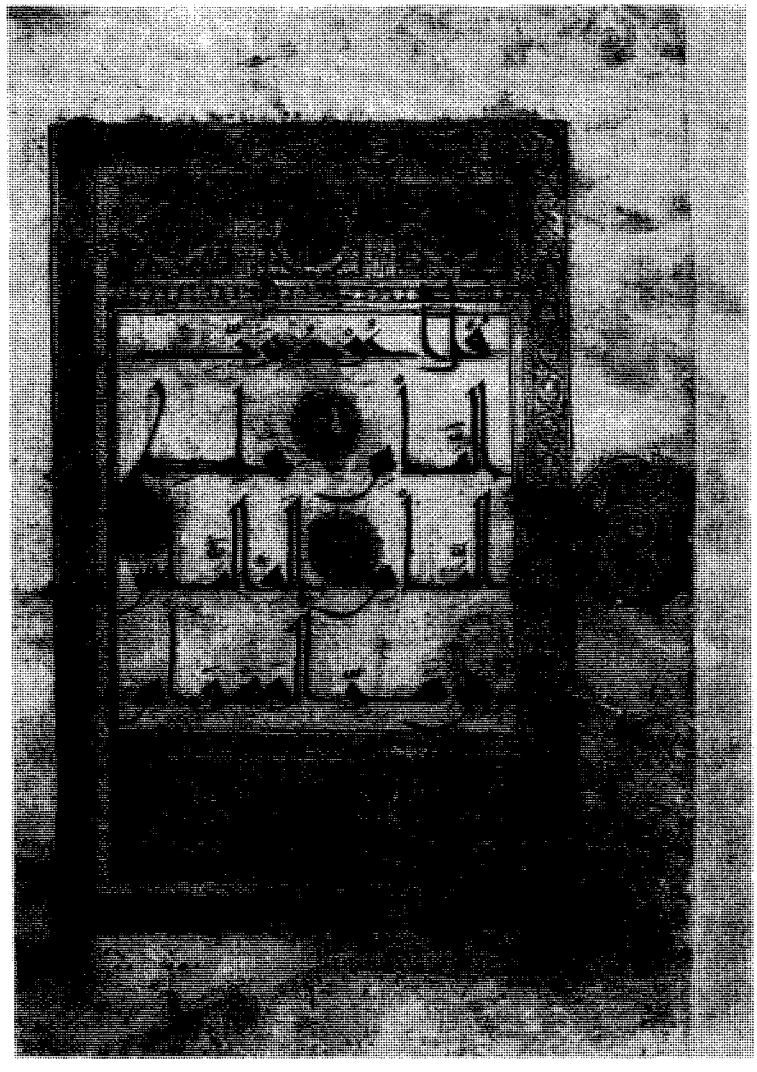

أخرج البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك - رضي الله عنه -: أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان،وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزعَ حذيفةَ اختلافُهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين ! أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة: أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردّها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق».

الإضاءة الأولى: أسباب عمل عثمان رضي الله عنه :

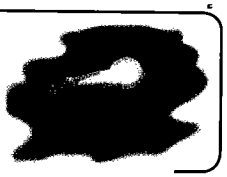

أ) من المعلوم أن الفتوحات الإسلامية أيام عثمان - رضي الله عنه - كانت قد اتسعت، وتفرق المسلمون في البلدان والأمصار، ونبت جيل مسلم جديد يحتاج إلى دراسة القرآن، وكان أهل كل إقليم يأخذون بقراءة من اشتهر بينهم من الصحابة، الذين تلقوا القرآن عن رسول الله ﷺ بلهجاته المختلفة، وأحرفه السبعة التي نزل عليها، وكان من الطبيعي أن يوجد بينهم اختلاف في طرق الأداء، ووجوه القراءة.

وبسبب تباعد الديار، وبعد عهد الناس بالنبوَّة، كاد هذا الاختلاف في أوجه القراءات يُحْدِثُ بينهم شقاقاً ونزاعاً، يظهر حين التقاء الناس وخاصة في المغازي أو المواسم، إذ أن الأحرف السبعة لم تكن معروفة لدى أهل تلك الأمصار.

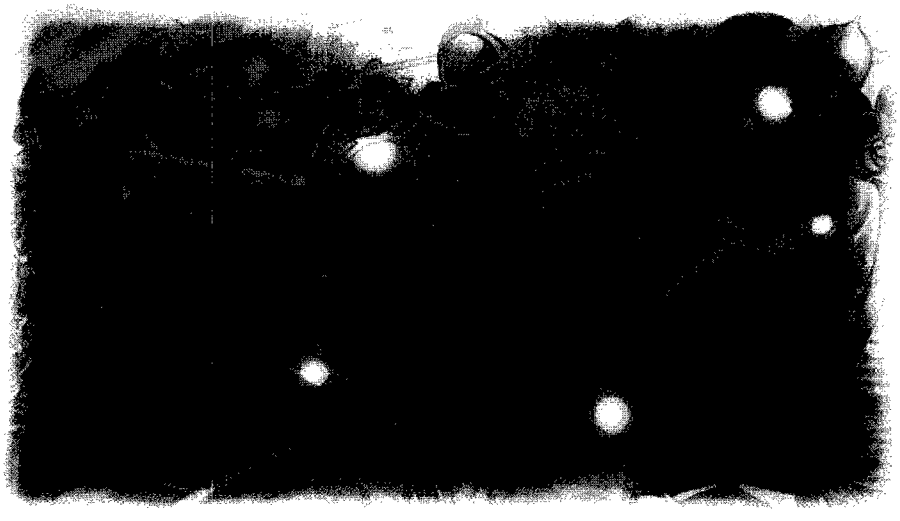

ب) وساعد على هذا الاختلاف وجود عديد من المصاحف الخاصة إلى جانب تلك الصحف التي وضعت عند حفصة - رضي الله عنها - كان بعض الصحابة قد كتبها لنفسه ثم اشتهرت بين الناس، ومن أشهرها: مصحف أُبَي بن كعب، ومصحف عبد الله بن مسعود، ولذلك نجد أن هذا الاختلاف والنزاع قد شمل كل الأمصار حتى المدينة نفسها.

أخرج ابن أبي داود في (المصاحف) من طريق أبي قلابة أنه قال: «لما كانت خلافة عثمان، جعل المعلم يُعَلِّمُ قراءة الرجل، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون، حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين حتى كفَّر بعضهم بعضا، فبلغ ذلك عثمان فخطب فقال: «أنتم عندي تختلفون، فمن نأى عني من الأمصار أشد اختلافاً».

وقد تحقق توقع عثمان - رضي الله عنه -، فقد كانت الأمصار أشد اختلافا، حتى أفزع اختلافهم حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - كما رأيت في حديث البخارى فجاء محذراً عثمان - رضي الله عنه - أن يتدارك هذه الأمة قبل أن تختلف في كتابها اختلاف اليهود والنصارى.

فهذه الأسباب وتلك العوامل هي التي كانت الحامل لعثمان - رضي الله عنه - على أن يقوم بما قام به من خدمة لكتاب الله عز وجل.

الإضاءة الثانية: قرار عثمان - رضي الله عنه - وتنفيذه:

لما تضافرت الأسباب لدى عثمان - رضي الله عنه - ورأى ما رأى من اختلاف الناس في كتاب الله تعالى، وجاءه حذيفة - رضي الله عنه - يخبره باختلاف من نأى عنه من الناس في قراءة القرآن وما يُنْذِرُ به هذا الاختلاف من خطر، أسرع - رضي الله عنه - لتدارك الموقف، فجمع كبار الصحابة - رضي الله عنهم - واستشارهم في الأمر، فأجمعوا أمرهم على استنساخ عدد من المصاحف يُرْسَلُ بها إلى الأمصار، وأن يُؤْمَرَ الناس بإحراق كل ما عداها، وألا يعتمدوا على سواها.

وشَرَعَ عثمان - رضي الله عنه - بتنفيذ هذا القرار الذي توصل إليه مع كبار الصحابة؛ فألف لجنة من خيرة الصحابة حفظاً لكتاب الله تعالى وإتقانا له وضبطا، وهم: زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام - رضي الله عنهم - وعَهِدَ إليهم بكتابة المصاحف.

وفور اتخاذ القرار، وتعيين اللجنة التي كُلِّفَتْ بالعمل، أرسل - رضي الله عنه - إلى حفصة - رضي الله عنها. يَطْلُبُ منها أن ترسل إليه بالصحف التي كانت عندها، والتي جمعت على عهد أبي بكر - رضي الله عنه -، لتكون هي العمدة والمرجع على استنساخ كتاب الله تعالى، إذ أنها جُمِعَتْ وكُتِبَتْ على النهج الذي كتب به القرآن بين يدي رسول الله ﷺ.

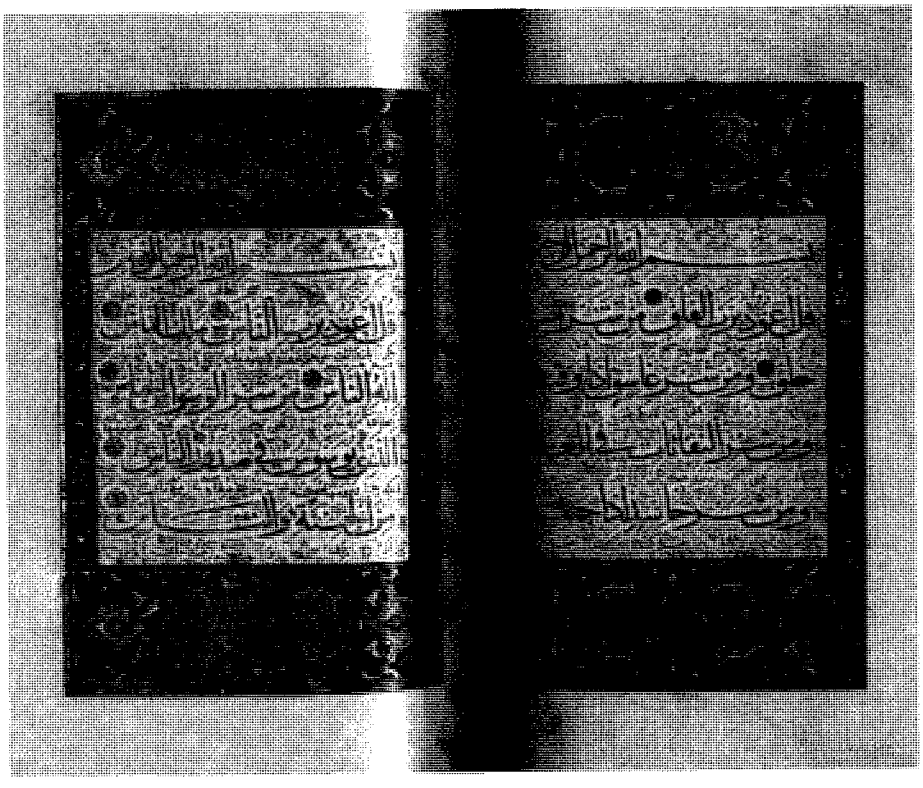

ولقد لَبَّتْ حفصةُ - رضي الله عنها - الطلب، طاعة لأمير المؤمنين، ومشاركة في خدمة كتاب الله تعالى التي لا تدانيها خدمة، فأَرْسَلَتْ بالصحف، واستلمتها اللجنة الرباعية الموقرة، حتى إذا انتهت من عملها، أعيدت الصحف إلى صاحبة الحق فيها، وبقيت عندها حتى تُوُفِّيَتْ، رضي الله عنها وأرضاها.

الإضاءة الثالثة

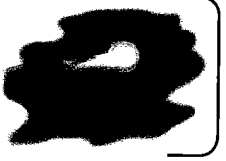

طريقة لجنة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - في كتابة القرآن ومزاياها:

طريقة اللجنة

تشكيل أعضاء اللجنة

1 ـ زيد بن ثابت.
2 ـ عبد الله بن الزبير.
3 ـ سعيد بن العاص.
4 ـ عبد الرحمن بن الحارث بن هشام.

طريقة اللجنة في الكتابة

1 ـ المرجع الأساسي في استنساخ المصاحف هو المصحف الذي كتبه زيد بن ثابت - رضي الله عنه - بأمر من أبي بكر - رضي الله عنه -.
2 ـ المعتمد في الكتابة والرسم حال اختلاف أعضاء اللجنة إنما هو طريقة قريش في كتابتها ورسمها.
3 ـ لا يُكتب شيء إلا بعد عرضه على الصحابة وإقرارهم بصحته، وتحققه، وأنه استقر في العرضة الأخيرة على النبي عليه السلام، ولم يُنسخ.

مزايا الطريقة والنسخ

1 ـ الاقتصار على ما ثبت بالتواتر من أوجه القراءات.
2 ـ تجريدها من كل ما كان في بعض المصاحف الخاصة من تفسيرات، وشروح، أو ذكر لأسباب النزول.
3 ـ إهمال ما نُسخت تلاوته، ولم يستقر في العرضة الأخيرة، اعتماداً على ما كتبه زيد - رضي الله عنه -.
4 ـ ترتيب الآيات والسور على الوجه المعروف الآن، والذي كان بتوقيف النبي عليه السلام بينما كانت في عهد أبي بكر مرتبة الآيات فقط لا السور.
5 ـ كان رسمها بطريقة تجمع الأحرف السبعة، وتصلح لأوجه القراءات المختلفة، وكان يساعد على ذلك أنها لم تكن مشكولة

الإضاءة الرابعة: تحريق الصحف والمصاحف المخالفة:

وما أن انتهت اللجنة من عملها حتى سارع عثمان - رضي الله عنه - إلى الأمر بكل مصحف أو صحيفة، سوى صحف حفصة - رضي الله عنها - أن يُجْمَعَ ويحرق دون أن يُبْقِي على شيء منه، سواء أكان ذلك في المدينة أم في غيرها من الأمصار.

وقد تم ذلك الأمر، ولم يعارض فيه أحد، إلا ما كان من عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - في بادئ الأمر، ثم عاد إلى التزام أمر الخليفة - رضي الله عنهما -، وكان الغرض من ذلك: أن يقطع مادة النزاع، ويحصر اعتماد المسلمين على الجادة القويمة في كتاب الله عز وجل.

وأما صُحُفُ حفصة - رضي الله عنها - فإنها أعيدت إليها بعد تحقيق الغرض منها، ولم تكن في جملة ما أُحْرِقَ من المصاحف، إذ لا داعي لذلك، ولا محذور من بقائها طالما أنها هي العمدة، والأصل، وليس بينها وبين ما نسخ كبير اختلاف، إلا ما كان من ترتيب السور، وذلك أمر لا خوف منه.

وبقيت تلك الصحف عند حفصة - رضي الله عنها - حتى تُوُفِّيَتْ، فأخذها مروان بن الحكم وأحرقها، وقال مدافعاً عن تصرفه: «إنما فعلت هذا، لأن ما فيها قد كُتِبَ وحُفِظَ بالمصحف الإمام، فخشيت إن طال بالناس زمان أن يرتاب في شأن هذه الصحف مرتاب»[1]. وكان مروان قد حاول أخذها من حفصة - رضي الله عنها - ليحرقها عام 65هـ فَأَبَتْ عليه ذلك.

الإضاءة الخامسة: عدد النسخ ومصيرها:

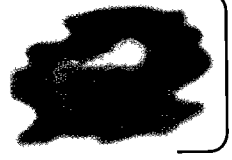

لقد اخْتُلِفَ في عدد النسخ التي كتبتها اللجنة: فقد قيل إنها خمسة، وقيل إنها أربعة، وقيل أنها سبعة، وأيًّا ما كان الأمر: فقد ترك عثمان - رضي الله عنه - واحدة منها لتكون مرجعاً لديه في دار الخلافة، وفي المدينة مهبط الوحي، ومنزل القرآن، وموئل الإسلام، وأرسل بباقيها إلى الأمصار، كل نسخة إلى ناحية، كالكوفة، والبصرة، والشام، وقيل أيضا إلى مكة، واليمن، والبحرين.

ولقد بقيت إحدى هذه النسخ في دمشق، بمسجد بني أمية الكبير حتى القرن الثامن الهجري، حيث يقول ابن كثير في كتابه فضائل القرآن: «أما الصحف العثمانية الأئمة، فأشهرها اليوم الذي في الشام بجامع دمشق عند الركن شرقي المقصورة المعمورة بذكر الله»[2].

---

(1) كتاب المصاحف، لابن أبي داود (ص24).

(2) فضائل القرآن، للحافظ ابن كثير (ص 49) طبعة المنار 1348هـ.

الإضاءة السادسة: قيمة عمل عثمان رضي الله عنه :

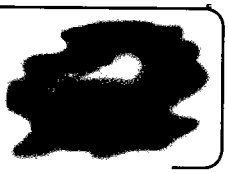

لقد كان عمل عثمان - رضي الله عنه - عملاً جليلاً، ذا قيمة علمية رفيعة، ومكانة دينية سامية، وحقيقة تاريخية لا تقبل الريب، وقد وقع في قلوب الناس موقع القبول والاستحسان؛ لأنه لم يكن عملا فردياً أو تصرفاً شخصياً، بل كان عملا جماعيا بمشورة كبار الصحابة وموافقتهم، بل بمعاونتهم، وتأييدهم، وشكرهم، وعلى ملأ من الناس ومشاهدتهم وإقرارهم.

أخرج ابن أبي داود بسند صحيح، عن سويد بن غفلة قال: قال علي - رضي الله عنه -: «لا تقولوا في عثمان إلا خيراً، فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا على ملأ منَّا، قال: ما تقولون في هذه القراءة ؟ فقد بلغني أن بعضهم يقول: إن قراءتي خير من قراءتك، وهذا يكاد يكون كفراً. قلنا: فما ترى ؟ قال: أرى أن يُجْمَعَ الناس على مصحف واحد، فلا تكون فرقة ولا اختلاف، قلنا: فَنِعْمَ ما رأيت»(1).

وفي رواية عن سويد، قال: سمعت علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - يقول: «يا معشر الناس اتقوا الله وإياكم والغلو في عثمان، وقولكم حَرَّاق مصاحف، فوالله ما حرقها إلا على ملأ منَّا أصحاب رسول الله ﷺ(2).

الإضاءة السابعة: كتابة وحفظ:

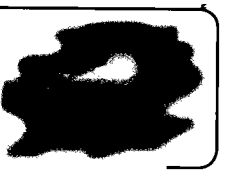

لقد علمنا في كل ما سبق أن الأمة الإسلامية اعتمدت في تناقل كتاب الله تعالى وقراءته أمرين اثنين: الحفظ والكتابة، يسيران جنباً إلى جنب. فيتلقونه رسماً من الصحف والسطور، ومشافهة من الأفواه والصدور، ولم يستغنوا في يـوم من الأيام بأحد الطريقـين عن الآخـر. هكـذا نجد عثمان - رضي الله عنه - يزيد هذا المعنى رسوخاً في أذهان المسلمين، فحتى لا يعتمدوا على الكتابة، ويتكلوا على النسخ فحسب، راح يرسل مع النسخ إلى الأمصار، كبار الصحابة من القراء، فقد كان زيد بن ثابت مقرئ المصحف المدني، وعبد الله بن السائب مقرئ المكي، والمغيرة بن شهاب مقرئ الشامي، وأبو عبد الرحمن السلمي مقرئ الكوفي، وعامر بن عبد القيس مقرئ البصرى. وما أن توزعت المصاحف الجديدة على البلدان الإسلامية، حتى أحرق كل مسلم ما كان عنده من قبل، وأقبل الناس يعكفون على هذه الأصول الوثيقة المعتمدة نسخا، وكتابة وحفظا بالتلقي والمشافهة، مما يزيدنا يقينا أن المصحف الذي بين أيدينا اليوم، هو القرآن الذي نزل على قلب المصطفى ﷺ.لاسيما وقد علمت أن إحدى نسخ المصحف الإمام بقيت حتى القرن الثامن الهجري، وأن لدى المكتبات الإسلامية اليوم،مصاحف تعود إلى ما قبل هذا التاريخ.

وهكذا فتاريخ هذا الكتاب سلسلة متصلة، لا تفقد حلقة من حلقاتها، فتثير بفقدانها الظنون والشكوك، وصدق الله العظيم: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾. (الحجر: 9) ، ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ • لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾. (فصلت: 41 - 42).

---

(1) كتاب المصاحف، لابن أبي داود (ص30).

(2) كتاب المصاحف ؛ لابن أبي داود (ص19).

تدارکه نغمة ثم رجع الشيخ بالعراق ومنع
الخطاب وقال ما أنصفتني يا أبا الحسن
ليزاحمني فقلت يا سيدي أنت أعلم
ولكن رجع الشيخ
الله
الحمد لله
وآخر دعوانا
كتبه
وأما نوع
عالية
سبع
عجز

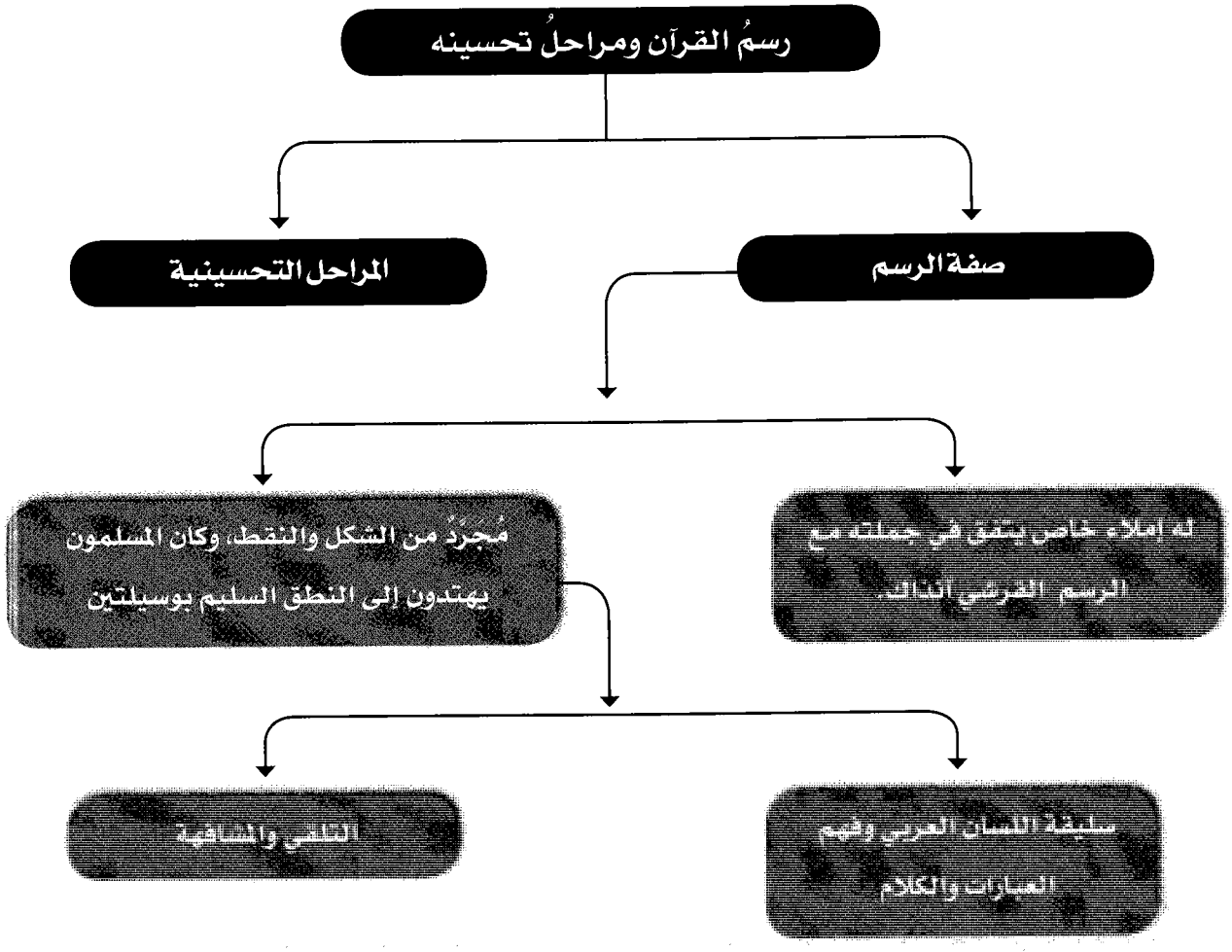
رسمُ القرآن ومراحلُ تحسينه
صفة الرسم
المراحل التحسينية
له إملاء خاص يتفق في جملته مع الرسم العثماني آنذاك.
مُجرَّدٌ من الشكل والنقط، وكان المسلمون يهتدون إلى النطق السليم بوسيلتين
سليقة اللسان العربي وفهم العبارات والكلام
التلقي والمشافهة

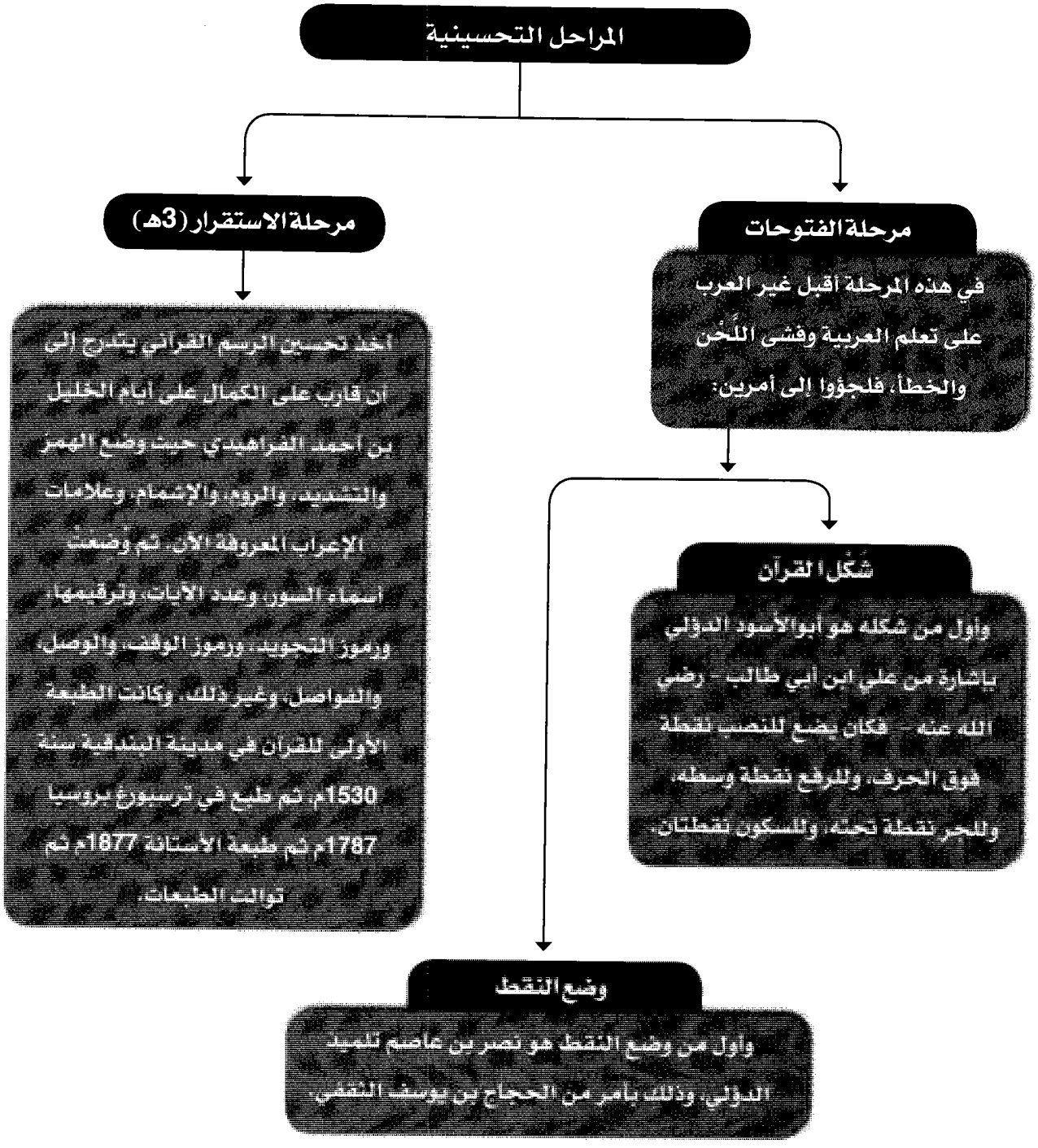
المراحل التحسينية
مرحلة الفتوحات
في هذه المرحلة أقبل غير العرب على تعلم العربية وفشى اللَّحْن والخطأ، فلجؤوا إلى أمرين:
شَكْل القرآن
وأول من شكله هو ابوالأسود الدؤلي بإشارة من علي ابن ابي طالب - رضي الله عنه - فكان يضع للنصب نقطة فوق الحرف، وللرفع نقطة وسطه، وللجر نقطة تحته، وللسكون نقطتان.
وضع النقط
وأول من وضع النقط هو نصر بن عاصم تلميذ الدؤلي، وذلك بأمر من الحجاج بن يوسف الثقفي.
مرحلة الاستقرار (3هـ)
أخذ تحسين الرسم القرآني يتدرج إلى أن قارب على الكمال على أيام الخليل بن أحمد الفراهيدي حيث وضع الهمز والتشديد، والروم، والإشمام، وعلامات الإعراب المعروفة الآن، ثم وضعت أسماء السور، وعدد الآيات، وترقيمها، ورموز التجويد، ورموز الوقف، والوصل، والفواصل، وغير ذلك، وكانت الطبعة الأولى للقرآن في مدينة البندقية سنة 1530م، ثم طبع في ترسبورغ بروسيا 1787م ثم طبعة الآستانة 1877م ثم توالت الطبعات.

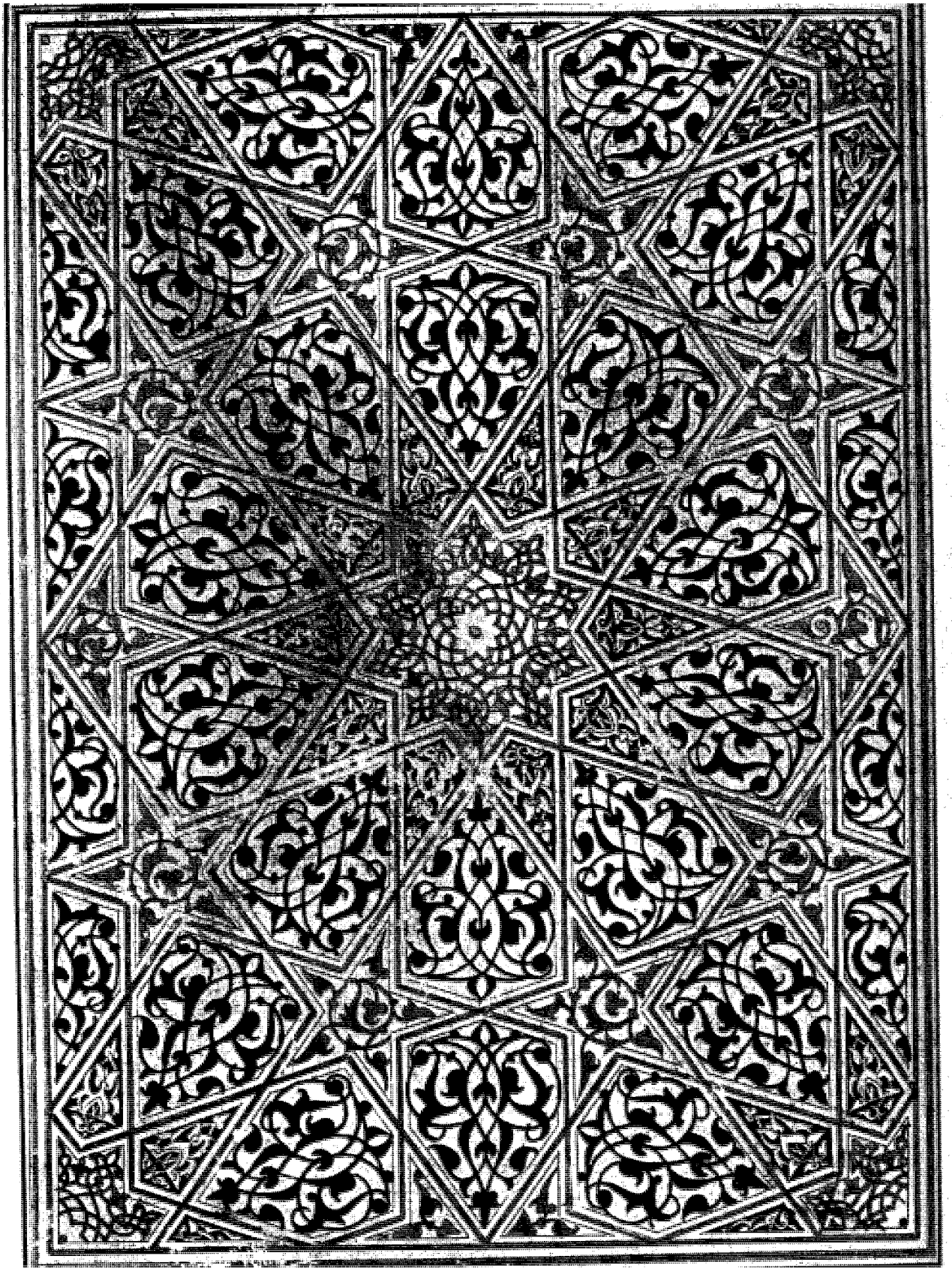

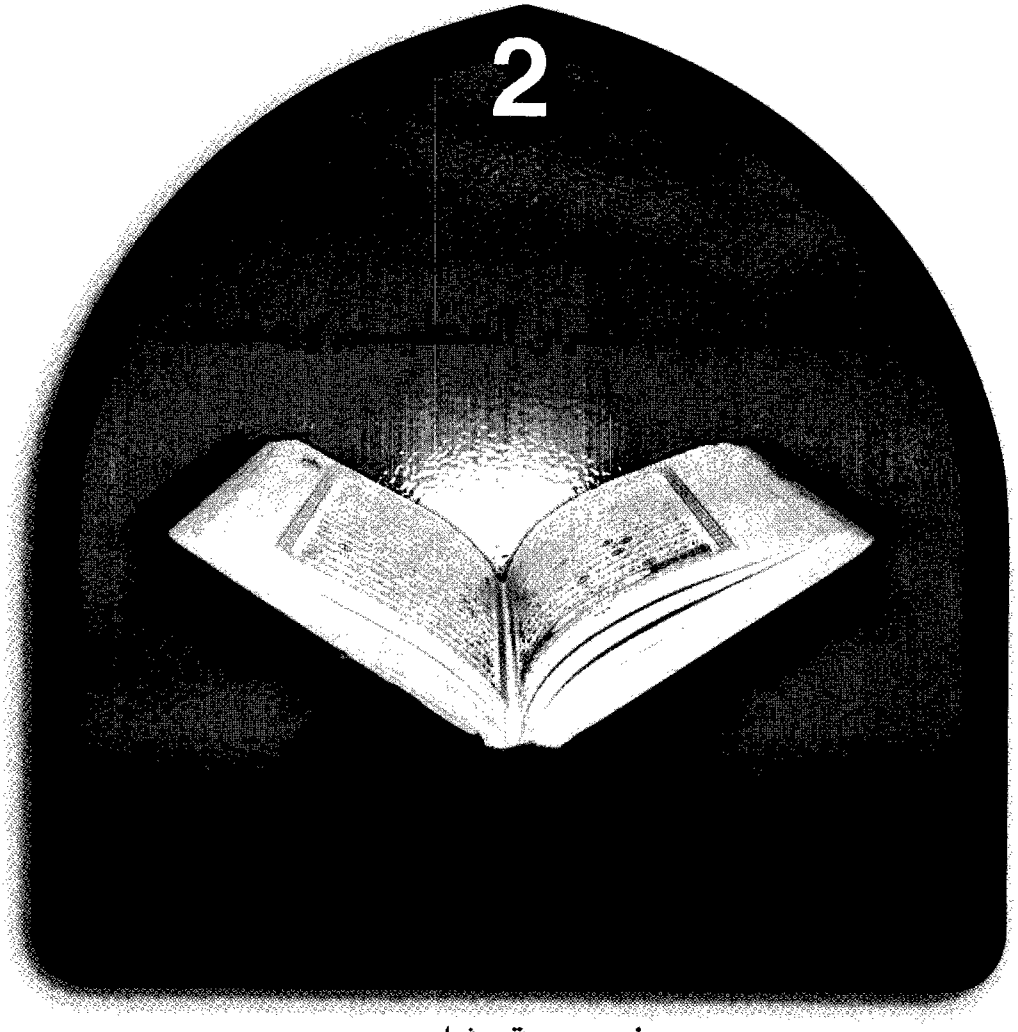

وفيه سبعة مشاهد:

1 المشهد الأول: علم أسباب النزول

2 المشهد الثاني: علم المكي والمدني

3 المشهد الثالث: علم القراءات

4 المشهد الرابع: علم الناسخ والمنسوخ

5 المشهد الخامس: علم المحكم والمتشابه والمبهم

6 المشهد السادس: إعجاز القرآن العظيم

7 المشهد السابع: علم التفسير

علم أسباب النزول

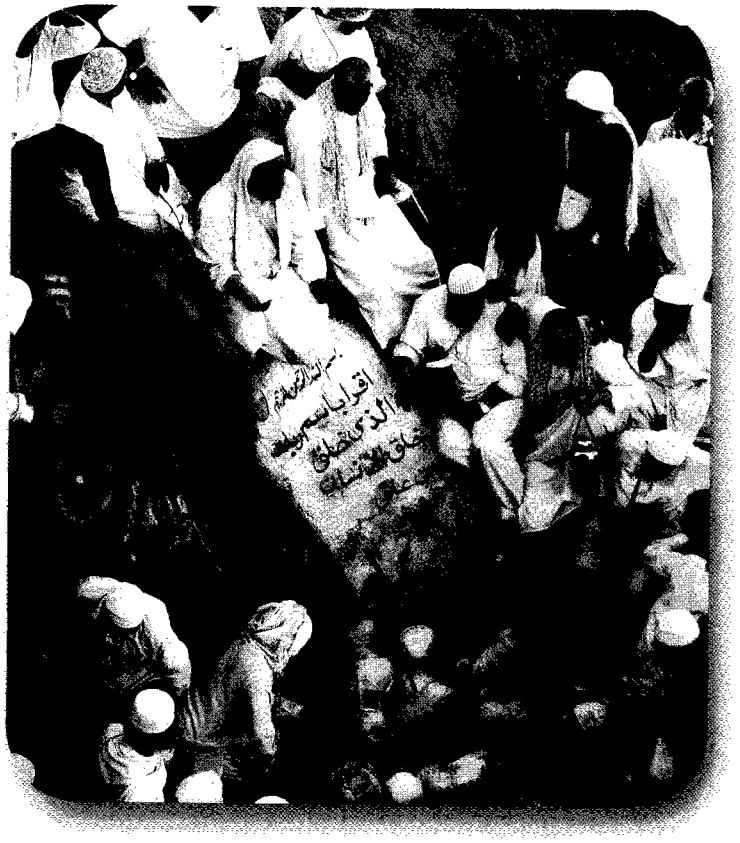

بعدما جُمع القرآن في مصحف واحد، وأخذ النساخ يكتبونه بدأ العلماء يستخرجون كنوز القرآن، وحينها نشأت علوم القرآن وصار العلماء يتبارون في ميادينه، ويبدعون في التأليف والتصنيف علماً وإثراءً، ومن هذه العلوم التي أبدعوها التالي:

علم أسباب النزول

أهميته

معرفة أسباب النزول يُعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب

مثاله

1 - قال تعالى: ﴿ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم﴾ (البقرة ١١٥).

نزلت في صلاة المسافر النفل على الراحلة أينما توجهت. (متفق عليه عن ابن عمر).

2 - قال تعالى: ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما﴾ (البقرة ١٥٨).

نزلت لنفي ما وقر في أذهان المسلمين في مطلع الإسلام من أن السعي بين الصفا والمروة كان من عمل الجاهلية: إذ كان على الصفا صنمٌ «إساف» وعلى المروة صنمٌ «نائلة». وقد حطم الصنمان بعد فتح مكة لكن المسلمين تحرجوا في الطواف بينهما فنزلت الآية.

طريقة معرفة أسباب النزول وحكمُها

طريقة معرفة ذلك النقل الصحيح

إن رويت عن الصحابة فهي مقبولة

لأن أقوال الصحابة فيما لا مجال فيه للاجتهاد - كأسباب النزول - مقبولة وحكمها حكم المرفوع إلى النبي ﷺ.

إن رويت عن تابعي فلا تقبل

إلا إذا صح واعتضد بمُرْسَل آخر، وكان الراوي له من أئمة التفسير الآخذين من الصحابة كمجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وغيرهم.

٢

المشهد الثاني

علم معرفة المكي والمدني

علم معرفة المكي والمدني (أ)
للعلماء في تحديد المكي والمدني ثلاثة اصطلاحات:

الأول 1

المكي ما نزل بمكة وضواحيها ولو بعد الهجرة.

والمدني ما نزل بالمدينة وضواحيها.

فالعبرة في مكان النزول فقط.

الثاني 2

المكي ما وقع خطاباً لأهل مكة، والمدني ما وقع خطاباً لأهل المدينة، فالأول يُصدَّر بـ «يَا أَيُّهَا النَّاسُ» خطابا للكافرين وإن كان غيرهم داخلا فيهم، والثاني صُدِّر بـ «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» خطابا للمؤمنين وإن كان غيرهم داخلاً فيهم.

واعْتُرِضَ على هذا التعريف بـ:

1 ـ أنه غير ضابط، ففي القرآن ما نزل خطابا لغير الفريقين: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ...».

2 ـ أنه غير مطّرد لوجود آيات مكية صُدِّرَتْ بـ «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» والعكس.

3 ـ أنه لن يفيدنا شيئا في دراسة القرآن لاستبعاده الجانب الزمني.

الثالث 3

المكي هو ما نزل قبل الهجرة، والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن كان نزوله بمكة، وهذا هو الراجح لاعتباره تاريخ النزول، ولهذا أهمية في معرفة الناسخ والمنسوخ وعليه فـ«الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ» مدنية مع أنها نزلت بمكة.

علم معرفة المكي والمدني (ب)

فوائد معرفته

1- تمييز الناسخ والمنسوخ لتأخذ الحكم بالناسخ وتترك الحكم بالمنسوخ، فإذا وردت آيات من القرآن في موضوع واحد، وكان الحكم في إحدى هذه الآيات مخالفاً للحكم في غيرها، ولم يمكن الجمع بينها ثم عرفنا أن بعضها مكي وبعضها مدني فإننا نحكم بأن المدني ناسخ للمكي نظراً لتأخر القرآن المدني عن المكي.

2- معرفة تاريخ التشريع الإسلامي، وتدرج المشرع الحكيم في نقل الناس إلى المنهج الإسلامي المتكامل.

3- الثقة بهذا القرآن، ووصوله إلينا سالماً من أي تغيير أو تحريف.

4- يبصر المؤمن والمفسر بمعنى الآية، فإن من يقرأ سورة «الكافرون» - مثلاً - يعلم أنها مكية، ونزلت عندما قال بعض زعماء المشركين للنبي عليه السلام: «نعبد إلهك سنة، وتعبد آلهتنا سنة أخرى» فإن هذا العلم بمكان النزول، وزمانه، وسببه يحجز عن الخطأ في تفسيرها وفهمها.

خصائصهما

خصائص المدني

1 ـ أغلب سوره فيها النداء بـ «يا أيها الذين آمنوا».

2 ـ ذكر الحدود والفرائض والأحكام الحياتية.

3 ـ الأمر بالجهاد وذكر أحكامه.

4 ـ ذكر المنافقين وبيان أحوالهم وكشف مؤامراتهم.

5 ـ البحث في شؤون الشورى والحكم.

6 ـ الكلام عن أهل الكتاب وجدالهم ومعاملتهم.

خصائص المكي

1 ـ كل السور المكية فيها لفظ «كلا».

2 ـ كل سورة بدأت بالأحرف المقطعة إلا البقرة وآل عمران فهما مدنيتان بالإجماع على خلاف في الرعد.

3 ـ أغلب سوره فيها النداء بـ «يا أيها الناس».

4 ـ ذكر قصص الأنبياء والأمم السابقة إلا سورة البقرة.

5 ـ تأكيد وحدانية الله تعالى.

6 ـ ذكر أهوال يوم القيامة والحساب.

7 ـ تهديد الكفار.

8 ـ ذكر قصة آدم وإبليس إلا سورة البقرة.

9 ـ تثبيت فؤاد النبي عليه السلام ودعوته للصبر.

عدد سور كل منهما

المدني : 20 سورة باتفاق.

المكي : 82 سورة باتفاق.

واختلف في ١٢ سورة، وهي:

1 ـ الفاتحة. 2 ـ الرعد.

3 ـ الرحمن. 4 ـ الصف.

5 ـ التغابن. 6 ـ المنافقين.

7 ـ القدر. 8 ـ البينة.

9 ـ الزلزلة. 10 ـ الإخلاص.

12،11 . المعوذتين.

أول ما نزل من القرآن وآخرهُ

أول ما أنزل

« اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ » للحديث المتفق عليه: « أول ما بُدِئَ به.. فقال: «اقرأ باسم ربك... » (العلم1)

آخر ما أنزل

«وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ» (البقرة 281) وعاش النبي ﷺ بعدها تسع ليال كما أخرجه النسائي وغيره عن ابن عباس.

المشهد الثالث

علم القراءات

علم القراءات

تعريفه

علم بكيفية أداء كلمات القرآن الكريم واختلافها معزوًا لناقله.

فائدته

صيانة القرآن الكريم عن التحريف والتغيير والاقتصار على ما ثبت نقله عن النبي ﷺ من القراءات والتي كانت - ولازالت - تتناسب ولسنة الناس حيثما كانوا فأهل المغرب الإسلامي - مثلا - يسهلون الهمزة - مثلا - فتناسبهم قراءة ورش عن نافع، وأهل الجزيرة على العكس فتناسبهم قراءة حفص عن عاصم. كما أن علم القراءات فيه فوائد كثيرة تبنى عليها الأحكام الفقهية.

أنواع القراءات

1 ـ المتواتر.

2 ـ المشهور.

3 ـ ما صح سنده وخالف الرسم.

4 ـ الشاذ.

5 ـ الموضوع.

6 ـ ما يشبه المدرج من الحديث.

ضابط قبول القراءات

1 ـ موافقة أحد المصاحف العثمانية.

2 ـ موافقة اللغة العربية ولو بوجه من الوجوه سواء كان فصيحا أم أفصح، مجمعا عليه أم مختلفا فيه اختلافا لا يضر مثله.

3 ـ صحة السند إلى النبي ﷺ.

فضلاً عن كون القراءة متواترة كما يظهر في تعريف القرآن.

الفرق بين القراءات المتواترة والشاذة

1 ـ المتواترة صحيحة النسبة إلى النبي ﷺ أما الشاذة فلا.

2 ـ يجب اعتقاد صحة القراءات المتواترة بحيث يكفر جاحدها أما الشاذة فلا.

3 ـ القراءات المتواترة يتعبد بها في الصلاة وخارجها أما الشاذة فلا.

4 ـ يستعان بالقراءات السبع في فهم القرآن أما الشاذة فلا، ولكن من المهم معرفة توجيه القراءات الشاذة؛ لأنها أقوى في الصناعة من توجيه المشهور.

أضواء على القراءات المتواترة والشاذة وضابط القراءات المتواترة

أنواع القراءات من حيث السند ستة

1 المتواتر

«وهو ما رواه جَمْعٌ عن جَمْعٍ لا يُمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم».

مثاله: ما اتفقت الطرق في نقله عن أئمة ا لقراءات السبعة وهذا هو الغالب في القراءات.

2 المشهور

«هو ما صح سنده، بأن رواه العدل الضابط عن مثله، وهكذا، ووافق العربية، ووافق أحد المصاحف العثمانية، سواء كان من الأئمة السبعة أم العشرة أم غيرهم من الأئمة المقبولين».

وهذان النوعان يُقْرَأُ بهما مع وجوب اعتقادهما، ولا يجوز إنكار شيء منهما.

3 ما صح سنده

وخالف الرسم أو العربية، ولم يشتهر الاشتهار المذكور.

مثاله: قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾. (التوبة: ١٢٨) قُرِئَ (من أنفَسكم) بفتح الفاء. وهذا النوع لا يُقْرَأُ به، ولا يجب اعتقاده.

4 الشاذ

«وهو ما لم يصح سنده».

مثاله: قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ (يونس: ٩٢) ورد بطريق غير صحيح أنه قرئ (فاليوم نُنَحِّيك) بالحاء المهملة بدل الجيم.

5 الموضوع

وهو «ما يُنْسَبُ إلى قائله من غير أصل».

مثاله: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر: 28) افْتُرِيَ على أبي حنيفة أنه قرأ ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ وكيف يخشى الخالق المخلوق ؟ ولماذا ؟!!

6 ما يشبه المدرج من أنواع الحديث

وهو «ما زيد من القراءات على وجه التفسير».

مثاله: قوله تعالى: ﴿فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ﴾ (المائدة: 89) قَرَأَ ابن مسعود (ثلاثة أيام متتابعات).

وفي نهاية هذا المشهد أود أن أنبهك إلى أن القراءات السبع ليست هي الأحرف السبعة فإن المراد بالأحرف السبعة: الأوجه التي يقع بها التغاير والاختلاف، وهذه الأوجه لا تخرج عن سبعة:

1. اختلاف الأسماء بالإفراد والتثنية والجمع، والتذكير والتأنيث.
2. اختلاف تصريف الأفعال من ماض ومضارع وأمر.
3. اختلاف وجوه الإعراب.
4. الاختلاف في الزيادة والنقصان.
5. الاختلاف بالتقدير والتأخير.
6. الاختلاف بالإبدال.
7. الاختلاف في اللهجات.

علم الشمع والشموع

الناسخ والمنسوخ

تعريف النسخ: «رفع الحكم الثابت بالنص القرآني أو رفع تلاوة النص والحكم الثابت به معاً»

نسخ التلاوة والحكم معاً

مثاله:

ما رواه مسلم عن عائشة قالت: «كان فيما أنزل من القرآن: «عشر رضعات معلومات يحرمن، فنسخن بخمس معلومات، فتوفى رسول الله ﷺ وهُنَّ فيما يُقرأُ من القرآن» (1).

نسخ التلاوة مع بقاء الحكم

مثاله:

قال عمر بن الخطاب، وأُبَيّ بن كعب: «كان فيما أُنْزِلَ من القرآن: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم». والمقصود بالشيخ والشيخة الثَّيِّبُ من الرجال والنساء، ورجْمُهما معمول به مع أنها نُسِخَتْ تلاوةً فقط.

نسخ الحكم فقط وبقاء التلاوة

مثاله:

قوله تعالى: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير اخراج﴾ نُسِخَ بقوله تعالى: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً﴾ مع بقاء تلاوة الآية الأولى.

طرق معرفة الناسخ والمنسوخ

1 ـ النقل الصريح عن النبي ﷺ أو عن صحابي. كقول أنس رضي الله عنه في قصة أصحاب بئر معونة: «ونزل فيهم قرآن قرأناه حتى رُفِعَ».

2 ـ إجماع الأمة على أن هذا ناسخ وهذا منسوخ.

3 ـ معرفة المتقدم من المتأخر في التاريخ.

(1) المعنى: أن نسخ تلاوة ذلك تأخَّر جداً حتى أنه توفي رسول الله ﷺ وبعض الناس لم يبلغه نسخ تلاوته فلما بلغهم نسخ تلاوته - وتأكد ذلك بعد جمع القرآن - تركوا تلاوته ونسخ حكمه - على خلاف في المسألة - والله أعلم.

إضاءة: ممن ألَّفَ في الناسخ والمنسوخ

1. قتادة بن دعامة السدوسي، وهو تابعي مُتوفًى سنة (188هـ).
2. أبو عبيد القاسم بن سلام، المتوفى سنة (223هـ).
3. أبو داود السجستاني، المتوفى سنة (275هـ).
4. مكي بن أبي طالب، المتوفى سنة (313هـ).
5. أبو جعفر النحاس، المتوفي سنة (338هـ).
6. هبة الله بن سلام، المتوفى سنة (410هـ).
7. ابن العربي، صاحب كتاب «أحكام القرآن» المتوفى سنة (546هـ).
8. ابن الجوزي المتوفى سنة (597هـ).

علم المحكم والمتشابه والمبهم

وفيه ثلاثة مواقف:

- الموقف الأول: المحكم.
- الموقف الثاني: المتشابه.
- الموقف الثالث: المبهم.

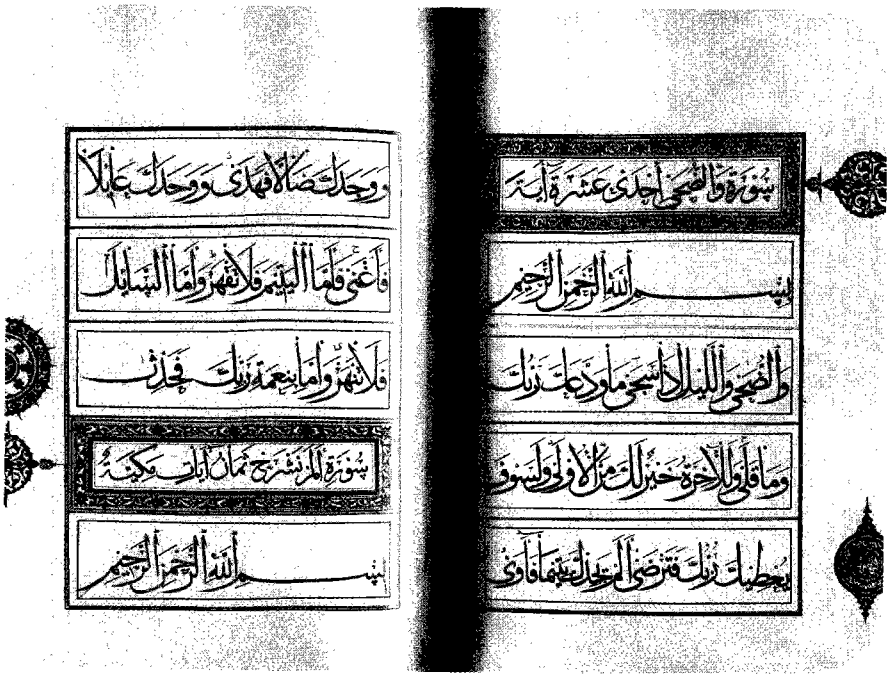

الموقف الأول

المحْكَم

هو «ما لا يحتمل إلا وجها واحداً من التأويل»
أو «ما كانت دلالته راجحةً، وهو الظاهر والنص»

الظاهر

«ما ظهر المرادُ منه بنفسه من غير توَقُّفٍ على أمر خارجي»

كقوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ فكلمة أحل وحرم تدلان على أن البيع حلال والربا حرام دون حاجة إلى قرينة خارجية، و«الظاهر» لا يُرادُ منه المقصود الأصلي من سياق الآية وهو نَفْيُ المماثلة بين البيع والربا.

النص

«ما دَلَّ بنفس لفظه وصيغته على المعنى من غير توَقُّفٍ على أمر خارجي»

كقوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ فهي نَصٌّ في التفرقة بين البيع والربا فهو المقصود الأصلي من السياق.
و«النص» أظهر في الدلالة من «الظاهر» ومُقَدَّمٌ عليه عند التعارض.

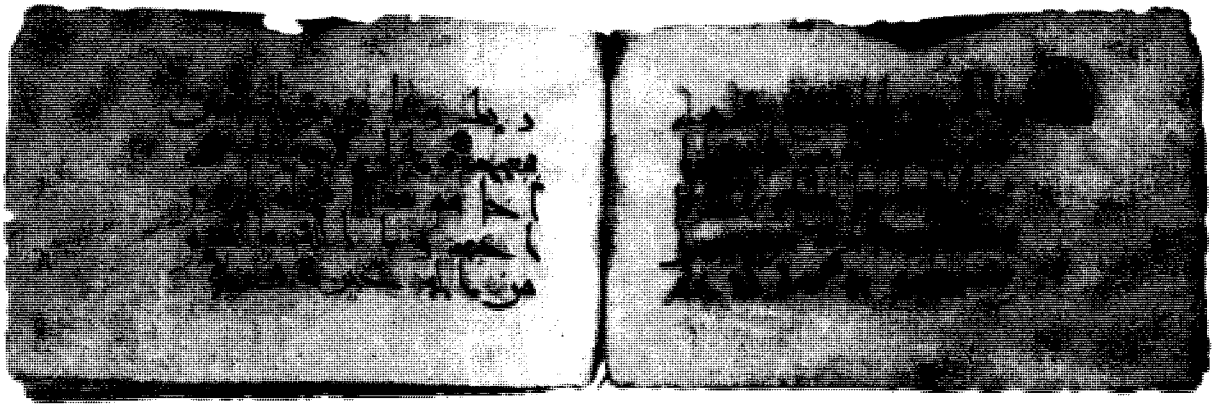

الموقف الثاني

المتشابه

هو «ما كانت دلالته غير واضحة»

أنواعه

«مالا سبيل إلى الوقوف عليه»

كوقت الساعة، وخروج الدابة.

«متردد»

يجوز أن يختص بمعرفته بعض

الراسخين في العلم دون غيرهم

يمكن معرفته

«كالألفاظ الغريبة والأحكام المغلقة».

الموقف الثالث

المبهَم

هو «ما لا سبيل إلى معرفته إلا بِتَبْيين الْمُبْهِم عبارةً أو إشارةً».

أسبابه

1 ـ ألا يكون في تعيينه كبير فائدة؛ كقوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾.

2 ـ التعظيم؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ﴾ وهو أبو بكر الصديق.

3 ـ التحقير؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ وهو العاصي بن وائل.

والفرق بين المتشابه والمبهم هو:

1 ـ المتشابه: ما يحتمل أوجهًا عديدة من التفسير ولا سبيل إلى معرفة حقيقته يقينًا.

2 ـ المبهم: يمكن معرفة حقيقته ولكن لا سبيل إلى معرفته إلا عن طريق المبهِم.

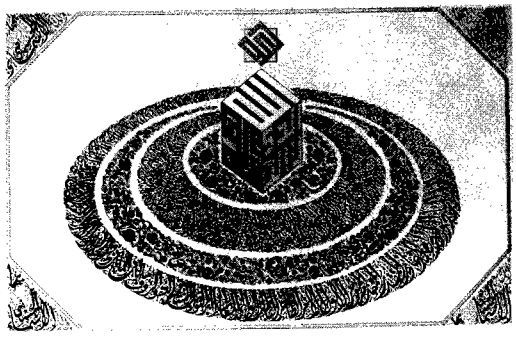

الإضاءة الأولى

الآيات المتشابهة

أنواع الخفاء في المتشابهات

1 ـ خفاء في اللفظ:
كفواتح السور، أو المشترك اللفظي كالعين.

2 ـ خفاء في المعنى:
كبعض صفات الله، وأهوال القيامة، والنعيم والعذاب.

3 ـ خفاء في اللفظ والمعنى معاً:
كقوله تعالى: ﴿وليس البرُّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكنّ البرّ من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها﴾ (البقرة ١٨٩).

الحِكْمَةُ من المتشابهات

1 ـ رحمة الله بالإنسان: فقد أخفى وقت القيامة، كما أخفى موعد الأجل والموت ليبقى الناس في استعداد وترقُّب.

2 ـ الابتلاء والاختبار: في إيمان البشر بالغيب ثقة بخبر الصادق، وتمييز المؤمنين عن غيرهم.

3 ـ إقامة الدليل على عجز الإنسان وجهالته مهما عَزَّ علمُه.

4 ـ تمييزُ الراسخين في العلم عن غيرهم، وحثُّهم على الاجتهاد.

الإضاءة الثانية

افتتاحيات السور

الحكمة منها

1 ـ تحدي المشركين بأن هذا القرآن مركب من ذات الحروف التي يتكلمون بها، وينظمون، ويسجعون، فليأتوا بمثله.

2 ـ الدلالة بكل حرف منها على معانٍ كثيرة لا معنى واحد، فتكون هذه الحروف جامعة لأن تكون افتتاحاً، وأنها مأخوذة من أسماء الله، وغير ذلك من الأوجه.

معاني الأحرف المقطعة اختلف فيها فقيل هي إما

علم مستور

قال الشعبي: إنها من المتشابه نؤمن بظاهرها، ونكل العلم فيها إلى الله.

علم معلوم

وذكروا فيه واحداً وعشرين وجهاً منها:

1 ـ كل حرف مأخوذ من اسم من أسماء الله تعالى: ألم: الله/ اللطيف/ المجيد.

وهذا مروي عن ابن عباس. وهو مستخدم عند العرب.

قال الرسول عليه الصلاة والسلام: «كفى بالسيف شا» أي شافياً.

2 ـ أن الله أقسم بهذه الحروف، وهذا يدل على جلالة قدرها إذ كانت مادة بيان القرآن.

3 ـ أنها نظم بديع جديد يستدعي انتباه وإعجاب الكفار، ويكون تعجبهم سبباً لاستماعهم، وتأثرهم بعد حين.

إعجاز القرآن العلمي

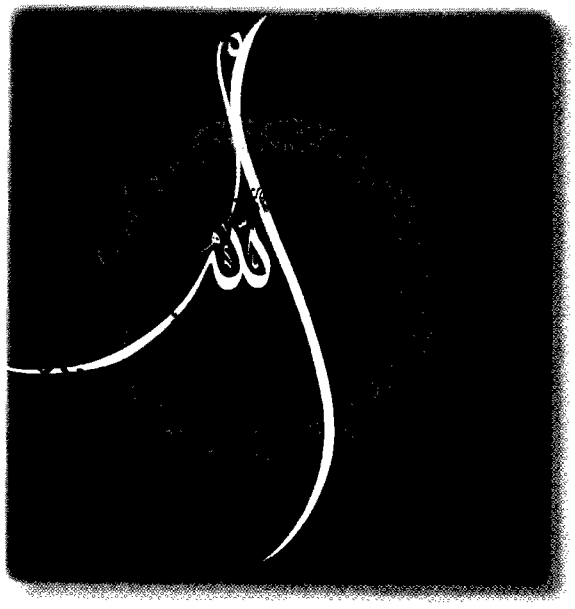

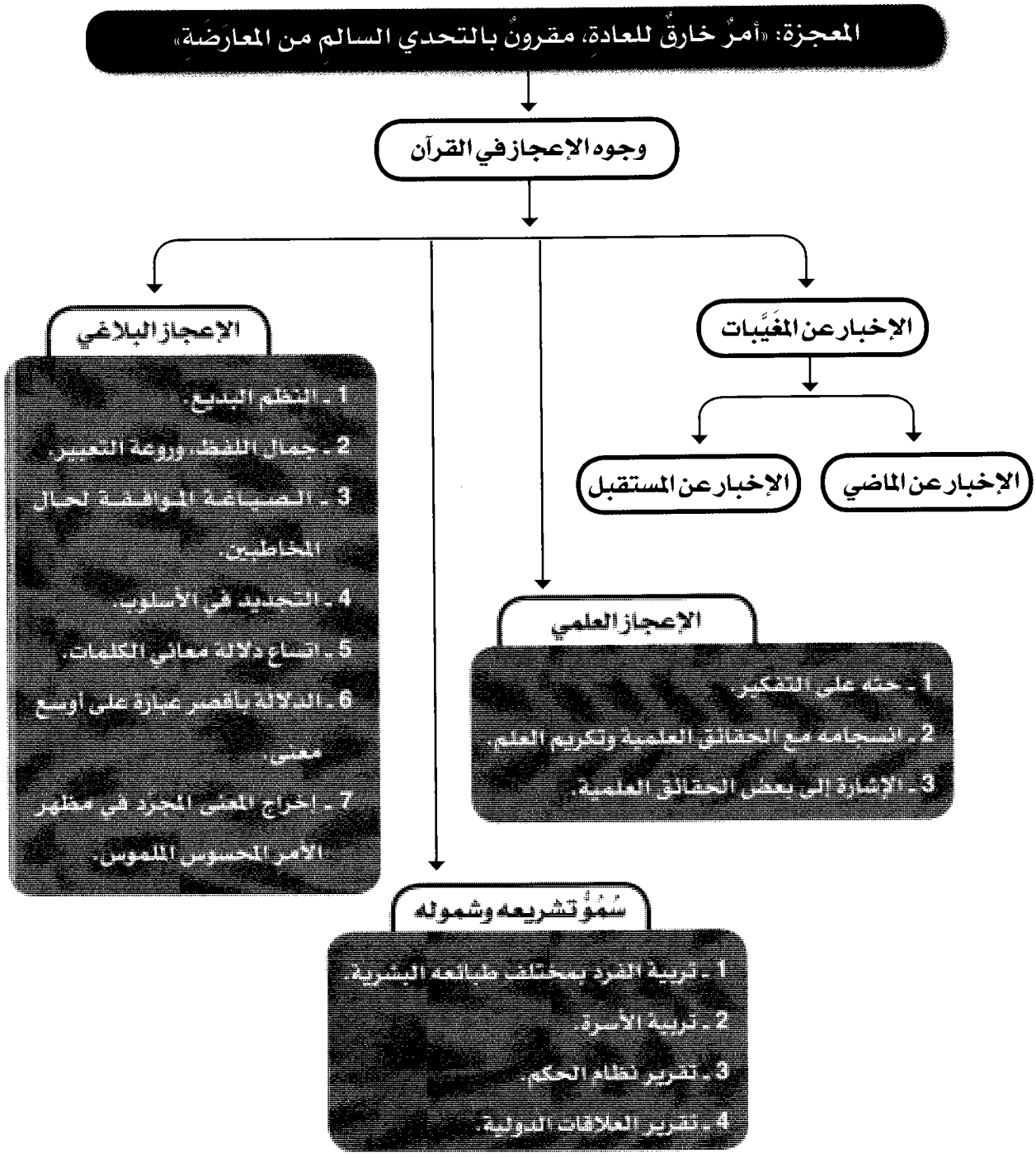
المعجزة: «أمرٌ خارقٌ للعادةِ، مقرونٌ بالتحدي السالم من المعارَضة»
وجوه الإعجاز في القرآن
الإعجاز البلاغي
1 ـ التخلص البديع.
2 ـ جمال اللفظ، وروعة التعبير.
3 ـ الصياغة الموافقة لحال المخاطبين.
4 ـ التجديد في الأسلوب.
5 ـ اتساع دلالة معاني الكلمات.
6 ـ الدلالة بأقصر عبارة على أوسع معنى.
7 ـ إخراج المعنى المجرد في مظهر الأمر المحسوس الملموس.
الإخبار عن المغَيَّبات
الإخبار عن الماضي
الإخبار عن المستقبل
الإعجاز العلمي
1 ـ حثه على التفكير.
2 ـ انسجامه مع الحقائق العلمية وتكريم العلم.
3 ـ الإشارة إلى بعض الحقائق العلمية.
سُمُوّ تشريعه وشموله
1 ـ تربية الفرد بمختلف طبائعه البشرية.
2 ـ تربية الأسرة.
3 ـ تقرير نظام الحكم.
4 ـ تقرير العلاقات الدولية.

إضاءة: تآليف إعجاز القرآن

1. «نظم القرآن» للجاحظ (225هـ).
2. «إعجاز القرآن» لمحمد بن يزيد الواسطي (306 هـ).
3. «إعجاز القرآن» لعلي بن عيسى الرماني (384 هـ).
4. «بيان إعجاز القرآن» للخطابي (388 هـ).
5. «إعجاز القرآن» لمحمد بن الطيب الباقلاني (403 هـ).
6. «دلائل الإعجاز» لعبد القاهر الجرجاني (471 هـ).
7. «إعجاز القرآن» لمصطفى صادق الرافعي (1356 هـ).
8. «التصوير الفني في القرآن» لسيد قطب (1965 م).

علم التفسير

وفيه خمسة مواقف:

- الموقف الأول: قصة علم التفسير.
- الموقف الثاني: أقسام التفسير.
- الموقف الثالث: أشهر كتب التفسير.
- الموقف الرابع: التعريف بأشهر التفاسير والمفسرين.
- الموقف الخامس: نص تطبيقي لطريقة التفسير.

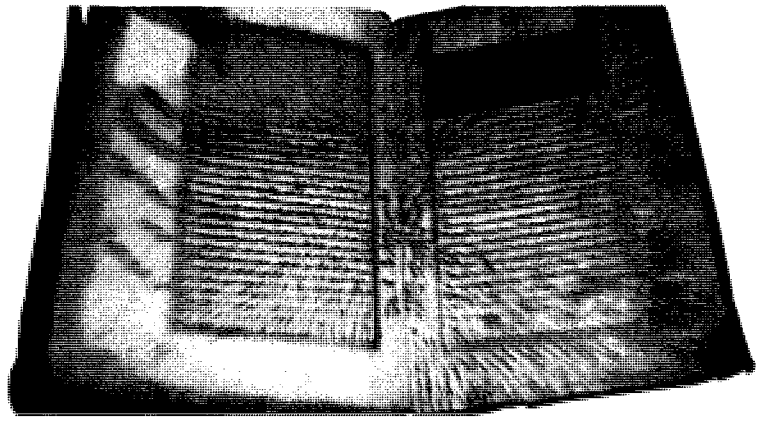

1 الموقف الأول: قصة علم التفسير

1 عصر النبوّة

1 ـ تكفّل الله لرسوله عليه السلام بحفظ القرآن وبيانه.

2 ـ فهم الصحابة للقرآن دقيقٌ؛ لأنه نزل بلُغتهم فقلّ احتياجهم للبيان إلا ما غَمُض. واعتمدوا في تفسيرهم على:

- القرآن الكريم.
- وجود النبي ﷺ بينهم.
- الفهم والاجتهاد.

وجمهور العلماء على أن تفسير الصحابي له حكم الحديث المرفوع إلى النبي ﷺ إذا كان مما يرجع إلى أسباب النزول أو كان مما ليس للرأي فيه مجال أما ما كان للرأي فيه مجال فهو موقوف على الصحابي بمعنى أنه قوله لا قول النبي ﷺ وأوجب بعض العلماء الأخذ به. ومنهم الزركشي، وابن كثير، وخصوا ذلك أكثر إذا كان من كبار الصحابة.

2 عصر التابعين

اعتمدوا في تفسيرهم على التالي:

1 ـ القرآن الكريم.

2 ـ السنة النبوية الشريفة.

3 ـ أقوال الصحابة.

4 ـ الفهم والاجتهاد.

وتعددت مع كثرة الفتوح الإسلامية مدارس تفسير القرآن فمنها:

1 ـ مدرسة ابن عباس بمكة، ومن تلامذته: سعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة، وطاووس، وعطاء.

2 ـ مدرسة أبي بن كعب بالمدينة، ومن تلامذته: زيد بن أسلم.

3 ـ مدرسة ابن مسعود في العراق، ومن تلامذتها: علقمة، ومسروق، والنخعي، وقتادة، والحسن البصري.

3 عصر التدوين

في الفترة من أواخر العهد الأموي وأوائل العهد العباسي بدأت حركة تدوين التفسير على النحو التالي:

1 ـ كان التفسير باباً من أبواب الحديث، ولم يفرد مستقلا، وممَّنْ اعتنوا به مجموعاً مع الحديث: يزيد بن هارون، وشعبة، ووكيع، وسفيان بن عيينة، ولم يصل إلينا شيء من تفاسيرهم.

2 ـ في المرحلة الثانية تم إفرادُ التفسير بالتأليف كعلم قائم بنفسه، وممن أفرده: ابن جرير، والطبري، وأبو بكر بن المنذر النيسابوري.

3 ـ في المرحلة النهائية إلى يومنا هذا تعددت اتجاهات المفسرين بين الفقه، واللغة، والفلسفة، والتاريخ، والعقائد، والتصوف، والرأي، وأخيراً البلاغة، وأُسس الحياة، ومبادئ التشريع.

2 الموقف الثاني: أقسام التفسير

التفسير الإشاري

التفسير الإشاري وهو: تفسير القرآن بغير ظاهره لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك والتصوف مع إمكان الجمع بينها وبين التفسير الظاهر المراد مثل أن يقال في قوله تعالى: ﴿اذهب إلى فرعون إنه طغى﴾ (طه:24) إن المراد بفرعون هو النفس البشرية.

وهو جائز بشروط ذكرها السيوطي، وبعضها لابن القيم نذكر لك بعضها:

1 ـ ألا يتنافى مع ما يظهر من معنى النظم الكريم.

2 ـ ألا يدعى أنه المراد وحده دون الظاهر.

3 ـ ألا يكون له معارض شرعي أو عقلي.

4 ـ أن يكون له شاهد شرعي يؤيده.

5 ـ ألا يكون تأويلا بعيدا سخيفاً كتفسير «لم» فعلاً ماضياً في قوله تعالى: ﴿لم المحسنين﴾.

التفسير الباطني

ونعني به: تفسير القرآن على معان مخالفة لظاهر القرآن دون دليل أو شبهة من دليل، وهذا نجده ظاهراً في تفاسير الباطنية الذين قالوا: المراد من القرآن باطنه دون ظاهره. وهو غير جائز، وهو باطل.

التفسير بالدراية (الرأي)

وهو تفسير القرآن بالاجتهاد بعد استكمال آلة الاجتهاد

«ما لا يجوز منه»

ما كان على غير قوانين اللغة العربية، ولا موافقا للأدلة الشرعية، ولا مستوفياً لشرائط التفسير التي ذكرها المفسرون.

«ما يجوز منه»

ما كان موافقاً لكلام العرب، ومناحيهم في القول مع موافقة الكتاب والسنة، مع مراعاة سائر شروط المفسِّر والتفسير

التفسير بالرواية (المأثور)

وهو تفسير القرآن بما جاء في القرآن والسنة النبوية أو أقوال الصحابة والتابعين مما ليس منقولا عن أهل الكتاب من اليهود والنصارى.

3 الموقف الثالث: أشهر كتب التفسير

كتب التفسير المعاصرة

1 ـ «الجواهر» لطنطاوي جوهري.
2 ـ «تفسير المنار» لمحمد رشيد رضا.
3 ـ «في ظلال القرآن» لسيد قطب.
4 ـ «التفسير البياني» لعائشة بنت الشاطئ.

كتب تفسير الفقهاء

1 ـ «أحكام القرآن» للجصاص.
2 ـ «أحكام القرآن» للكيا الهراسي.
3 ـ «أحكام القرآن» لابن العربي.
4 ـ «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي.
5 ـ «الإكليل في استنباط التنزيل» للسيوطي.
6 ـ «التفسيرات الأحمدية» للاجيون.
7 ـ «أضواء البيان» لمحمد الشنقيطي.

كتب التفسير بالمأثور

1 ـ تفسير ابن عباس.
2 ـ «جامع البيان في تفسير القرآن» للطبري.
3 ـ «بحر العلوم» للسمرقندي.
4 ـ «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» لابن عطية.
5 ـ «معالم التنزيل» للبغوي.
6 ـ «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير.
7 ـ «الجواهر الحسان في تفسير القرآن» للثعالبي.
8 ـ «الدر المنثور في التفسير بالمأثور» للسيوطي.
9 ـ «فتح القدير» للشوكاني.

كتب التفسير بالرأي

1 ـ «الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل» للزمخشري.
2 ـ «مفاتيح الغيب» للرازي.
3 ـ «مدارك التنزيل وحقائق التنزيل» للنسفي.
4 ـ «البحر المحيط» لأبي حيان.
5 ـ «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» للبيضاوي.
6 ـ تفسير الجلالين.
7 ـ «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي.
8 ـ روح المعاني للآلوسي.

4 الموقف الرابع: التعريف بأشهر التفاسير والمفسرين

1 الطبري
2 الزمخشري
3 الفخر الرازي
4 القرطبي
5 ابن كثير

مع بيان طريقة كل منهم، وخصائص تفسيره.

1 الإمام الطبري (224 - 310 هـ)

التعريف به:

هو أبو جعفر محمد بن جرير الطبري من أهالي طبرستان، وُلِدَ (بآمل) سنة (224هـ) خرج من بلده (آمل) في الثانية عشرة من عمره يطلب العلم، ويجلس إلى المشايخ، وقد سمع بالعراق والشام ومصر عن خَلْقٍ كثير، واستقر به مقامه بعد ذلك في بغداد.

قال أبو سعيد بن يونس: «كان فقيهاً، قَدِمَ إلى مصر قديماً سنة ثلاث وستين ومائتين وكتب بها، ورجع إلى بغداد، وصنف تصانيف حسنة تدل على سعة علمه». وقال علي بن عبد الله: «مكث أربعين سنة يكتب في كل يوم منها أربعين ورقة».

قال ابن جرير يوماً لأصحابه: «أتنشطون لتفسير القرآن ! فأجابوا: كم يكون قدره ؟ فقال: ثلاثون ألف ورقة، فقالوا: هذا مما يُفْنِي الأعمار قبل تمامه، فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة. وقال عنه الخطيب البغدادي في تاريخه: «أحد العلماء، يُحكم بقوله، ويُرجع إلى رأيه، لمعرفته وفضله، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وكان حافظاً لكتاب الله تعالى، عارفا بالقراءات، بصيراً بالمعاني، فقيهاً في أحكام القرآن، عالماً بالسنة وَطُرُقِهَا، وصحيحها وسقيمها، وناسخها ومنسوخها، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من الخالفين في الأحكام، ومسائل الحلال والحرام، عارفاً بأيام الناس وأخبارهم، وله الكتاب المشهور في (تاريخ الأمم والملوك) وكتاب (التفسير) الذي لم يُصَنفْ أحد مثله، وكتاب (تهذيب الآثار) لم أرَ سواه في معناه إلا أنه لم يُتِمَّهُ، وكتاب حسن في القراءات سماه (الجامع) وله في أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة، واختيارٌ من أقاويل الفقهاء، وَتَفَرَّدَ بمسائل حفظت عنه».

2 طريقته في التفسير

أ . يفسر القرآن الكريم بالمأثور من القرآن الكريم، وسنة رسول الله ﷺ وأقوال الصحابة والتابعين.

ب . يذكر آراء الصحابة ومن بعدهم في التفسير، واستدلالهم باللغة، ويستشهد لذلك بكلام العرب.

ج . إذا تعددت أقوال الصحابة والتابعين يتعرض لتوجيه الأقوال.

د . يَعْرِضُ للقراءات في الآيات.

هـ . يهتم بالمذاهب النحوية، والأحكام الفقهية، وإجماع الأئمة.

و . يستنبط الأحكام التي تؤخذ من الآية.

3 خصائص تفسيره

أ . أنه تفسير بالمأثور، لذا نجده يحمل بشدة على تفسير الآيات بالاجتهاد والنظر.

ب . ينقل في تفسيره روايات صحيحة وغير صحيحة بأسانيدها فيخرج بذلك من العهدة.

ج . يُوَجِّهُ للرأي الذي يراه من بين الآراء في تفسيره، فلا يدع القارئ في حيرة من أمره، لا يتجه إلى رأي بعينه إذ لا دليل له.

4 وفاته

كان عالماً، زاهداً، ورعاً، فاضلاً، قوياً في الحق فصيح اللسان، وكانت وفاته في بغداد، وقت المغرب، عشية يوم الأحد، ليومين بقيا من شوال، سنة (310هـ) وقد تجاوز الثمانين بخمس أو ست سنين، رحمه الله تعالى.

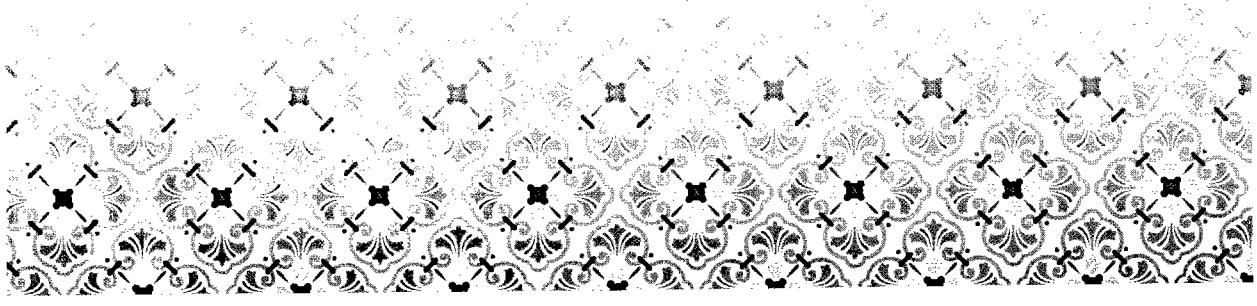

2 الزمخشري (467 - 538 هـ)

1 التعريف به:

هو أبو القاسم محمود بن محمد الزمخشري الخوارزمي، ولد بزمخشر سنة (٤٦٧ هـ)، رحل في طلب العلم إلى بُخارى، وقد رحل إلى بغداد، فسمع من أبي الخطاب بن البطر، وشيخ الإسلام أبي منصور الحارثي، وجماعة.

كان واسع العلم، كثير الفضل، غاية في الذكاء، وجودة القريحة، متفنناً في كل علم، معتزلياً قوياً في مذهبه، مجاهراً به، وداعية إليه، حنفياً، علامة في الأدب والنحو، كان مقطوع إحدى رِجْلَيْه، وقد ذكر هو سبب ذلك، قال: كنت في صباي أمسكت عصفوراً وربطته بخيط في رجله، فأفلت من يدي فأدركته وقد دخل في خَرْقٍ، فجذبته فانقطعت رجله في الخيط، فتألمت والدتي لذلك، وقالت: قطع الله رجلك كما قطعت رجله، فلما وصلت إلى سن الطلب رحلت إلى بخارى لطلب العلم، فسقطتُ عن الدابة فانكسرت رجلي، فعلمت أني عملت عملاً أوجب قطعها. وقيل: إنها سقطت من برد شديد أصابه في بعض أسفاره ببعض بلاد خوارزم. أقام بمكة سنين وفيها أتم تفسيره الكشاف، فَلُقِّبَ: جار الله تعالى، لجواره بيت الله الحرام.

صنف كثيرا من الكتب، منها: (الكشاف) في التفسير، و (الفائق) في غريب الحديث، و (أساس البلاغة) و (المفضل) في النحو، و (المستقصى) في الأمثال، وله شعر جيد منه قوله:

وقائلةٍ ما هذه الدررُ التي ... تُساقَطُ من عينيك سِمْطينِ سمطينِ

فقلتُ:هو الدرُّ الذي كان قد حَشَا ... أبو مضرٍ أذنى تساقط من عيني

2 طريقته في التفسير

يُعَدُّ (الكشاف) من كتب التفسير بالرأي - مع انحراف إلى الاعتزال - ويعتمد في تفسيره على لغة العرب وأساليبهم، ويُعْنى عناية خاصة بعلوم البلاغة، تحقيقاً لوجوه إعجاز القرآن الكريم، ويُؤَوِّلُ آيات التوحيد بما يوافق طريقة الاعتزال التي انزلق إليها.

3 خصائص تفسيره

أ. خُلُوُّه من الحشو والتطويل، وسلامتُه من القصص والإسرائيليات الباطلة.

ب. اعتماده في بيان المعاني على لغة العرب وأساليبهم في البيان.

ج. سلوكه فيما يقصد إيضاحه طريق السؤال والجواب.

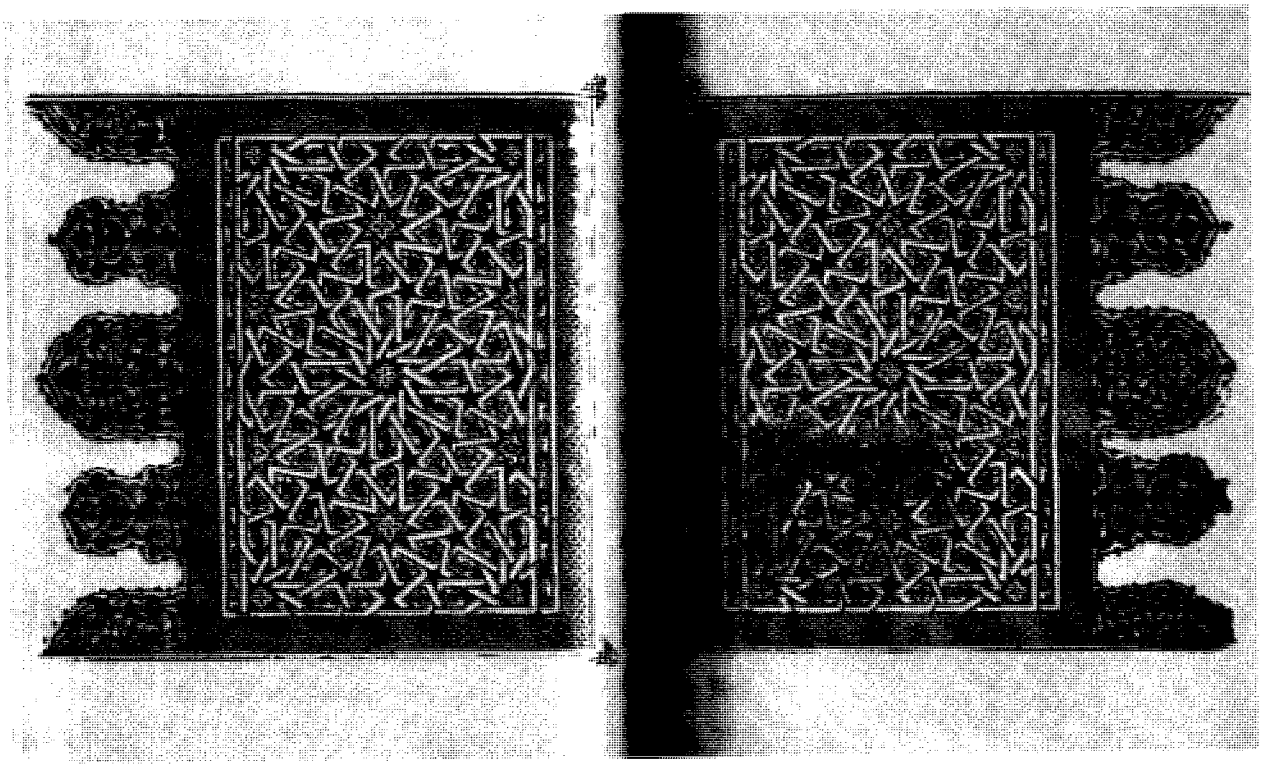

4 وفاته

وحين أتم إحدى وسبعين سنة مِنْ عُمُره، وبعد عودته من مكة المكرمة، تُوُفِّي بجرجانية خوارزم سنة (538هـ) وقد أوصى أن يكتب على قبره:

إلهي قد أصبحتُ ضيفَك في الثَّرى ... وللضيفِ حقٌّ عند كلِّ كريمِ

فهبْ لي ذنوبي في قِرَايَ فإنها ... عظيمةٌ ولا يُقْرَى بغير عظيمِ

رحمه الله تعالى وعفا عنه.

3 الرازي (544 - 606هـ)

1 التعريف به:

هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الطبرستاني الأصل، ثم الرازي ابن خطيبها، من ذرية أبي بكر الصديق، رضي الله تعالى عنه، ولد في الخامس والعشرين من رمضان سنة (544 هـ) بمدينة الري، اشتغل أولاً على والده ضياء الدين عمر ثم على الكمال السمناني، وعلى المجد الجيلي، وغيرهم، وأتقن علوماً كثيرة وبَرَّزَ فيها، وتقدم وساد، وقصده الطلبة من سائر البلاد.

كان واعظاً، له في الوعظ اليَدُ البيضاء، وكان يلحقه الوَجْدُ في حال الوعظ ويكثر البكاء، وكان يحضر بمجلسه بمدينة «هراة» أرباب المذاهب والمقالات ويسألونه، وهو يجيب كل سائل بأحسن إجابة، ورجع بسببه خلق كثير من الطائفة الكرامية وغيرهم إلى مذهب أهل السنة، فكان يلقب بهراة: شيخَ الإسلام.

قال الداودي فيه: «المفسِّر، المتكلم، إمام وقته في العلوم العقلية، وأحد الأئمة في العلوم الشرعية، صاحب المصنفات المشهورة، والفضائل الغزيرة المذكورة، وأحد المبعوثين على رأس المئة السادسة لتجديد الدين».

وتصانيفه كثيرة في فنون عديدة، منها (التفسير الكبير) و (الأربعين في أصول الدين) و (المحصل) و (البيان والتبيين) في الرد على أهل الزيغ والطغيان، وشرح أسماء الله الحسنى، وشرح المفصل للزمخشري، ومناقب الإمام الشافعي، وغيرها، وكل كتبه مفيدة، وله شعر جيد منه:

المرءُ ما دامَ حيا يستهانُ بهِ ... ويعظمُ الرَّزْءُ فيه حينَ يُفْتَقَدُ

ومنه:

وكمْ منْ جبالٍ قد علت شُرُفَاتها ... رجالٌ فزالوا والجبالُ جبالُ

وكم قد رأينا من جبالٍ ودولةٍ ... فبادوا جميعاً مسرعينَ وزالوا

2 طريقته في التفسير

يُعَدُّ تفسيره (مفاتيح الغيب) من أعظم تفاسير الرأي وأوسعها، يُعْنَى بربط الآيات والسور بعضها ببعض، ويُعْنَى باللغة والبيان، ومسائل الفقه، ويميل فيها إلى ترجيح مذهب إمامه الشافعي - رحمه الله - ولكن أعظم عنايته بمسائل الكلام والحكمة، فهو فيها الفارس المجلَّى، والعَلَمُ المفرد، ويُعْنَى أحيانا بنقل أقوال الصحابة والتابعين لتفسير الكلمات وبيان المراد من الآيات.

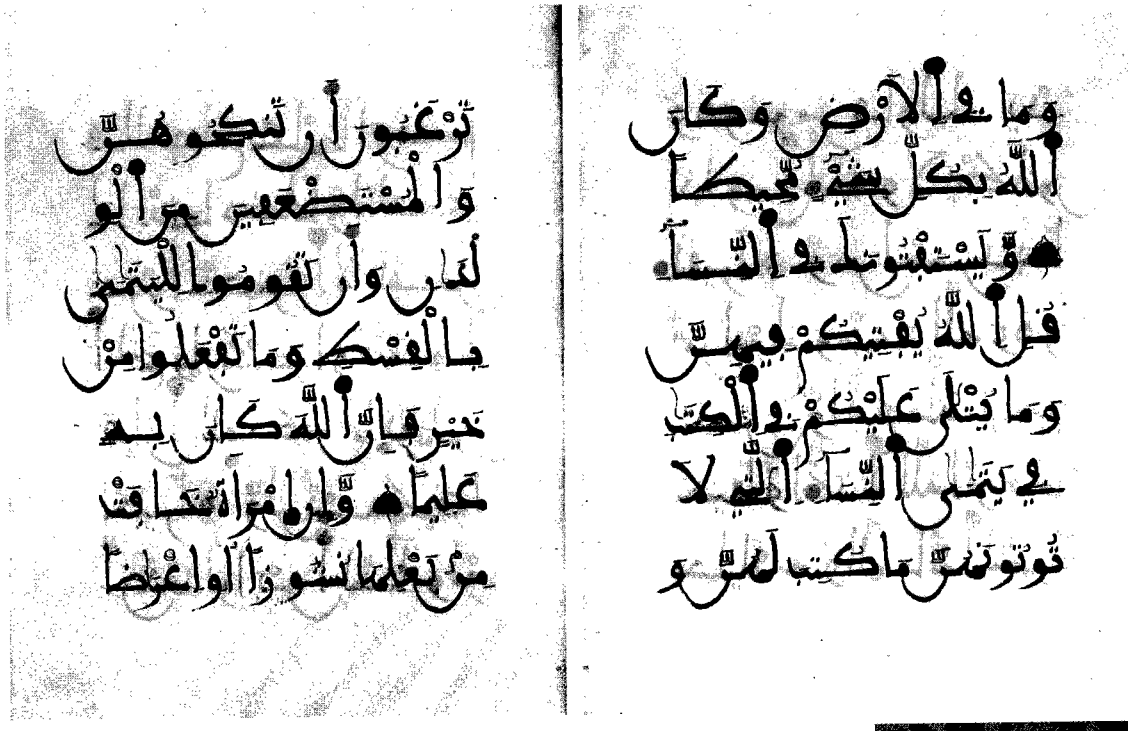

3 خصائص تفسيره

1) العناية بتفسير الصحابة والتابعين للآيات أحيانا.

2) ذكر ما يناسب الآيات من الموضوعات. يقول: وها هنا مسائل، ثم يوردها مسألة مسألة، وإن كان ثمة اعتراضات أوردها ثم أجاب عليها.

3) العناية بعلوم اللغة من معاني المفردات والبلاغة بإيجاز كافٍ.

4) الاقتصاد في ذكر الإسرائيليات والحشو من التفسير.

5) العناية بربط الآيات والسور بعضها ببعض، وقد لا يخلوا الأمر في هذا من التكلف أحيانا.

4 وفاته

كان قد رُزِقَ سعادة في مؤلفاته، وسعادة في تلامذته، وكان إذا ركب يمشي حوله نحو ثلاثمائة تلميذ من الفقهاء وغيرهم.

تُوُفِّي رحمه الله تعالى بمدينة هراة يوم الاثنين يوم عيد الفطر سنة (606 هـ). رحمه الله تعالى.

4 القرطبي (المتوفى سنة 671 هـ)

1 التعريف به:

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي المالكي الأندلسي القرطبي، سمع من ابن رواج، ومن ابن الجميزي، وأبي العباس القرطبي شارح صحيح مسلم وغيرهم. قال الداودي:

كان من عباد الله الصالحين، والعلماء العارفين الورعين الزاهدين في الدنيا، المشغولين بما يعنيهم من أمور الآخرة، أوقاته معمورة ما بين تَوَجُّه وعبادة وتصنيف، جمع في تفسير القرآن الكريم كتاباً كبيراً في خمسة عشر مجلداً سماه كتاب «جامع أحكام القرآن والمبين لما تضمَّنه من السنة وآي القرآن». وهو من أجل التفاسير وأعظمها نفعاً، أسقط منه القصص والتواريخ، وأثبت عِوَضَها أحكام القرآن، واستنباط الأدلة، وذكر القراءات والإعراب، والناسخ والمنوسخ، وله شرح الأسماء الحسنى في كتاب يقع في مجلدين سماه (الكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى) وكتاب (التذكار في أفضل الأذكار) وضعه على طريقة (البيان) للنووي، لكن هذا أتم منه وأكثر علماً، وكتاب (التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة).

وقال الذهبي عنه: «إمام متقن متبحر في العلم، له تصانيف مفيدة تدل على إمامته، وكثرة اطلاعه، ووفور فضله».

2 طريقته في التفسير

يُعَدُّ تفسيره من أجل كتب التفسير التي وصلت إلينا وأفضلها، جَمَعَ فيه تفسير القرآن بالقرآن، ثم تفسيره بالسنة، ثم أقوال الصحابة والتابعين، وأقوال العلماء واستنباطهم لما تدل عليه الآيات، وَعَرَضَ لمسائل الفقه ببيان مشرق، وينسب إلى كل فقيه رأيه، ويذكر حجته، وقد يرجح رأيا من آراء من نقل عنهم، إلى جانب تخريج الأحاديث، والعناية بالقراءات، واللغات، والإعراب.

3 خصائص تفسيره

قال رحمه الله تعالى: «وشرطي في هذا الكتاب، إضافة الأقوال إلى قائليها، والأحاديث إلى مصنفيها، فإنه يقال: من بركة العلم أن يضاف القول إلى قائله، وكثيراً ما يجيء الحديث في كتب الفقه والتفسير مبهماً لا يُعْرَفُ من أخرجه إلا من اطلع على كتب الحديث، فيبقى من لا خبرة له بذلك حائراً لايعرف الصحيح من السقيم، فلا يقبل منه الاحتجاج به ولا الاستدلال حتى يضيفه إلى من خرجه من الأئمة الأعلام، والثقات المشاهير من علماء الإسلام.

وأضرب عن كثير من قصص المفسرين وأخبار المؤرخين إلا ما لابد منه ولا غنى عنه للتبيين، وأعتاض عن ذلك بتبيين آي الأحكام بمسائل تُسْفِرُ عن معناها، وترشد الطالب إلى مقتضاها، فضمت كلُّ آية - تتضمن حكماً أو حكمين فما زاد - مسائل تبين فيها ما تحتوي عليه من أسباب النزول والتفسير للغريب، والحكم، فإن لم تتضمن حكماً ذكرت ما فيها من التفسير والتأويل»، وهكذا إلى آخر الكتاب.

4 وفاته

كان طارح التكلُّف يمشي بثوب واحد وعلى رأسه طاقية.

وكان مستقراً بمُنْيَةِ بني خَصيب من الصعيد الأدنى، وفيها توفي ليلة الاثنين التاسع من شوال سنة إحدى وسبعين وستمائة رحمه الله تعالى.

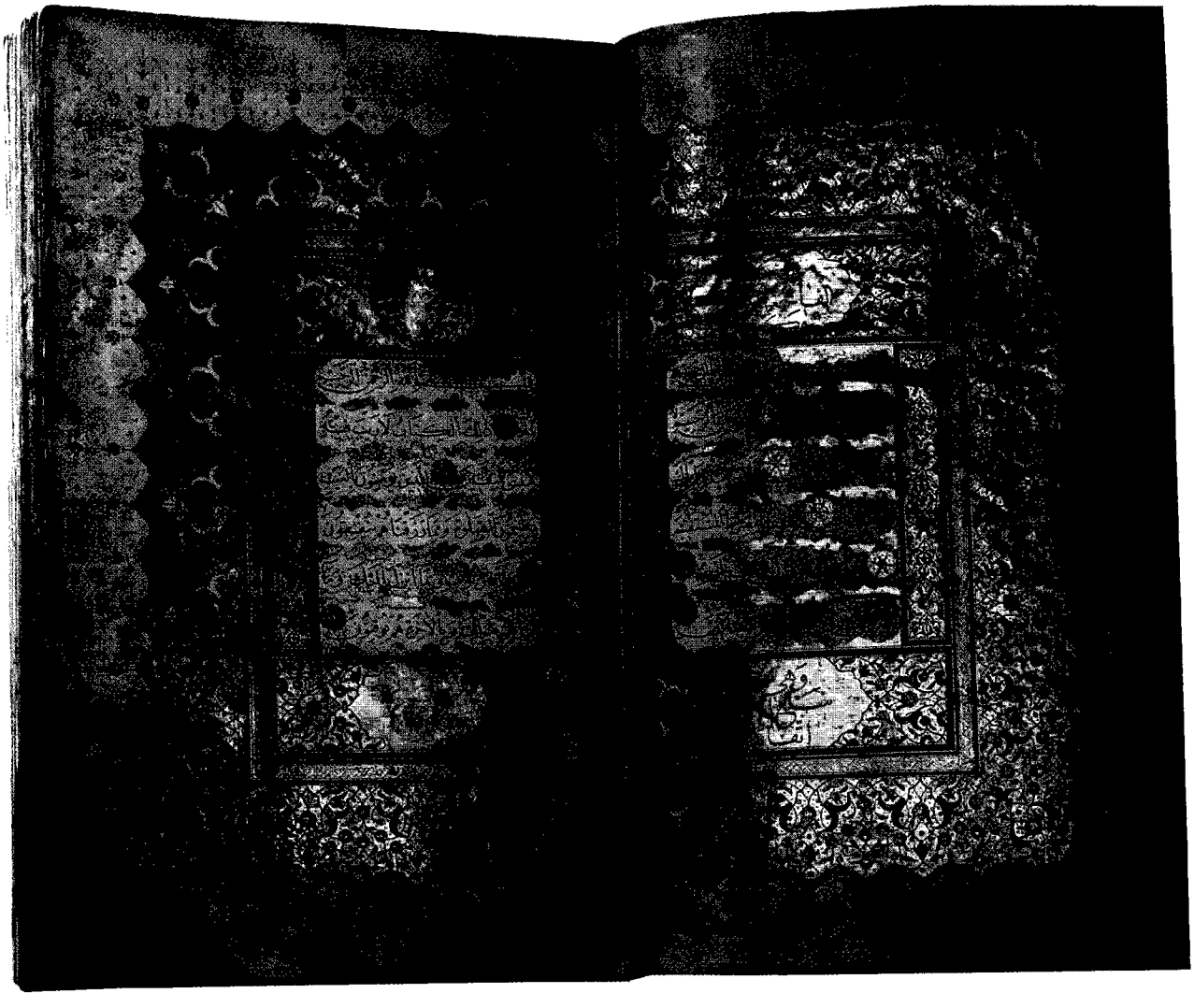

5 إسماعيل بن كثير (701 - 774 هـ)

1 التعريف به:

هو أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير البصروي الدمشقي.

ولد بقرية شرقي بصرى سنة 701هـ، ثم قَدِمَ دمشق وله نحو سبع سنين مع أخيه بعد موت أبيه، وتتلمذ لكثير من العلماء منهم: الحافظ المزي، وتزوج ابنته، وأقبل على علم الحديث، وأخذ الكثير عن ابن تيمية. وقال ابن حبيب فيه: «إمامُ ذوي التسبيح والتهليل، وزعيمُ أربابِ التأويل - التفسير - سمع وجمع وصنف، وأطرب الأسماع بأقواله وشَنَّف، وحدث وأفاد، وطارت أوراق فتاويه إلى البلاد، واشتهر بالضبط والتحرير، وانتهت إليه رياسة العلم في التاريخ، والحديث، والتفسير».

قال فيه شيخه الإمام الذهبي (في المعجم): «فقيه مُتَفَنِّنٌ، ومحدث متقن، ومفسر نَقَّاد، صنف في صِغَرِه كتاب «الأحكام على أبواب التنبيه» والتاريخ المسمى بـ «البداية والنهاية» والتفسير، واختصر (تهذيب الكمال) للمري، وأضاف إليه ما تأخر في «الميزان» وسماه «التكميل» وغيرها. ومن شعره قوله:

تمرُّ بنا الأيامُ تَتْرى وإنما ... نُسَاقُ إلى الآجالِ والعينُ تنظرُ

فلا عائدٌ ذاك الشبابُ الذي مَضَى ... ولا زائلٌ هذا المشيبُ المكدَّرُ

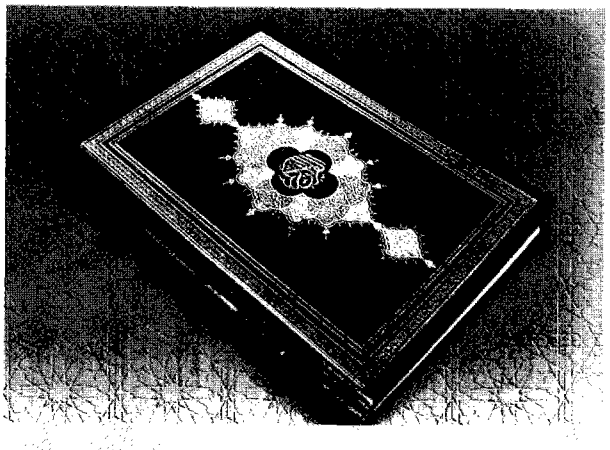

2 طريقته في التفسير

يفسر القرآن الكريم بعبارة سهلة وجيزة، ويجمع آيات الموضوع الواحد، وهو يستعين على تفسير القرآن بالقرآن أولا، ثم يسرد الأحاديث المتعلقة بالآية منسوبة إلى مخرجيها، وبيان درجة كل حديث غالبا - إلا ما كان في الصحيحين فلا يذكر له درجة لأنه صحيح كله - ثم يورد أقوال الصحابة، والتابعين أحيانا، وقل أن يفسر كلمات الآيات إلا أثناء التفسير.

3 خصائص تفسيره

أ. لا يُعْنَى بتفسير الكلمات مستقلة كما يفعل الإمام الطبري، بل يذكرها مفسرة أثناء تفسيره.

ب. لا يعرض للقراءات المختلفة أثناء التفسير كذلك.

ج. يفسر القرآن بالقرآن، ثم بالسنة، وأقوال الصحابة والتابعين، ولا يستعين بأقوال علماء العربية في تفسيره.

د. ينسب الآيات - أثناء تفسيره - إلى سورها، والأحاديث إلى مخرجيها، ويشير إلى ما كان ضعيفاً أو منكراً منها.

هـ. لا يكاد يعرض للإسرائيليات أثناء تفسيره، فضلا عن الاستدلال بها، وتلك مزية له.

و. يُرْجِعُ بعض الأقوال على بعض أحيانا، وقد يعرض لبعض الخلافات الفقهية بإيجاز.

4 وفاته

قال فيه تلميذه شهاب الدين بن حجي: «.... وما أعرف أني اجتمعت به على كثرة ترددي إليه إلا واستفدت منه».

وقد كُفَّ بصره آخر عمره، وتوفي بدمشق في خمس من شعبان (772 هـ)، ودفن بمقبرة الصوفية عند شيخه ابن تيمية، رحمه الله تعالى.

الموقف الخامس: نص تطبيقي لطريقة التفسير 5

«تحويل القبلة»

تمهيد

كان رسول الله ﷺ أمر باستقبال الصخرة من بيت المقدس، فكان بمكة يصلي بين الركنين، فتكون بين يديه الكعبة وهو مستقبل صخرةَ ببيت المقدس، فلما هاجر إلى المدينة تعذَّر الجمع بينهما، فأمره الله بالتوجه إلى بيت المقدس، واستمر الأمر على ذلك بضعة عشر شهرا، وكان ﷺ يكثر الدعاء والابتهال أن يُوَجَّهَ إلى الكعبة، التي هي قبلة إبراهيم عليه السلام فأُجيب إلى ذلك، وأُمرَ بالتوجه إلى البيت العتيق.

قال الله تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا قُل لِّلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ × وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ • قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة 142).

1 شرح المفردات:

«**السفهاء**»: جمع سفيه، وهو الجاهل المستخف بالحق، والسفه: الخفة والطيش. والمراد بهم في الآية: المنكرون تحويل القبلة من اليهود والمنافقين والمشركين.

«**ما ولاَّهم**»: ما صَرَفَهُمْ عن قبلتهم : عن بيت المقدس.

«**وسطا**»: عُدُولاً خياراً.

«**ينقلب على عقبيه**»: يرتد عن الإسلام عند تحويل القبلة إلى الكعبة المشرفة.

«**لكبيرة**»: لشاقة وثقيلة على النفوس.

«**ليضيع إيمانكم**»: صلاتكم فترة توجهكم إلى بيت المقدس، بل يقبله الله منكم.

«**تقلب وجهك**»: تحوله وتردده المرة بعد المرة، طلبا للوحي، والْتجاءً إلى الله تعالى.

«**فَلَنُوَلِّيَنَّكَ**»: لَنوَجِّهَنَّكَ ولنمكننك من استقبالها.

«**ترضاها**»: تحبها وتميل إليها.

«**فول**»: اصرف.

«**شطر المسجد الحرام**»: ناحيته وتلقاءه.

2 المعنى الإجمالي:

في الآية الأولى يخبر الله تعالى بما سيقوله السفهاء من اليهود وغيرهم قبل أن يقولوه، وحكمة هذا الإخبار تخفيف أثره على نفوس المؤمنين، فلا تضطرب له نفوس المؤمنين، ولا تُقيم له وزنا كما علمهم الله كيف يردون عليهم بأن لله المشرق والمغرب، وأن لا اعتراض على أحكام الله، وهو يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

وفي الآية الثانية يخبر الله عز وجل أنه جعل هذه الأمة خياراً عدولاً، وكما هداهم إلى أفضل قبلة جعلهم أفضل أمة، وأعدل أمة، يشهدون على الأمم يوم القيامة، ويشهد عليهم رسولهم ﷺ.

وفي الآية الثالثة يعلِّم اللهُ رسولَه أنه كان يراه وهو يقلب وجهه في السماء انتظاراً لوحي السماء يأمره بتحويل القبلة، فتتحقق رغبته في مخالفة يهود، ومحبته لقبلة أبيه إبراهيم، والذين أوتوا الكتاب يعلمون أن هذا حق، والله سبحانه مطلع على سرائرهم وعلانيتهم.

3 سبب النزول وأهميته في تفسير الآيات:

1 ـ عن البراء - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبَلَ البيت، وأنه صلى صلاة العصر، وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن كان صلى معه، فَمَرَّ على أهل المسجد وهم راكعون. قال: أشهد بالله لقد صليت مع النبي ﷺ قِبَلَ مكة، فداروا كما هم قِبَلَ البيت، وكان الذي مات على القبلة قَبْلَ أن تحول قِبَلَ البيت رجال قُتِلوا فلم ندر ما نقول فيهم، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(1).

2 ـ وعنه رضي الله عنه، قال: «كان رسول الله ﷺ صلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، وكان رسول الله ﷺ يحب أن يوجه إلى الكعبة، فأنزل الله عز وجل: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ فتوجه نحو الكعبة، وقال السفهاء من الناس وهم اليهود، ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها: ﴿قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ فصلى مع النبي ﷺ رجل، ثم خرج بعدما صلى، فمرَّ على قوم من الأنصار في صلاة العصر نحو الكعبة، فَتَحَرَّفَ القوم حتى توجهوا نحو الكعبة (2). وهذان النصان من صحيح البخاري يعينان على فهم الآيات المتقدمة من سورة البقرة، ويمنعان وجودَ أيِّ إشكال أو لَبْسٍ في تفسيرها.

---

(1) رواه البخاري في الإيمان (593) ومسلم في المساجد (625).

(2) رواه البخاري في الإيمان (04) .

4 الأحكام الشرعية والتوجيهات المستفادة:

أ الأحكام الشرعية:

1 ـ جواز النسخ، وهو إجماع الأمة، وقد أجمع العلماء على أن القبلةَ أولُ ما نسخ.

وجواز نسخ السنة بالقرآن، وذلك أن النبي ﷺ صلى إلى بيت المقدس، وليس في ذلك قرآن، فلم يكن الحكم إلا بالسنة الفعلية، ثم نسخ ذلك بالقرآن.

2 ـ قَبُولُ خبر الواحد، وهو مجمع عليه من السلف، معلوم بالتواتر مِنْ عادة النبي ﷺ في توجيهه ولاته ورسله آحاداً إلى الآفاق ليعلموا الناس دينهم.

3 ـ فضل هذه الأمة المسلمة على غيرها من الأمم؛ حيث قبلت شهادتهم على من كان قبلهم من الأمم.

4 ـ المراد بالمسجد الحرام في قوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ الكعبة أي: فَوَلِّ وجهك في الصلاة جهة الكعبة.

5 ـ استقبال القبلة فرض من فروض الصلاة، ولابد منه في صحة الصلاة، إلا ما جاء في الخوف والفزع، وفي صلاة النافلة على الدابة أو السفينة، فإن القبلة في صلاة الخوف جهةُ أَمْنِه، وفي صلاة النافلة على الدابة حيث توجهت به.

وأجمع العلماء على أن المشاهد للكعبة لا يجزيه إلا إصابة عين الكعبة في صلاته.

وأما غير المشاهد للكعبة، فذهب الشافعية والحنابلة إلى أن الواجبَ قَصْدُ الإصابة مع التوجه على الجهة.

وذهب الحنفية والمالكية إلى أن الواجب استقبال جهة الكعبة.

وقد رجح القرطبي في تفسيره ما ذهب إليه الحنفية والمالكية، فقال:

«واختلفوا هل فرضُ الغائب استقبال العين، أو الجهة، فمنهم من قال بالأول، قال ابن العربي: وهو ضعيف لأنه تكليفُ ما لا يوصل إليه، ومنهم من قال بالجهة، وهو الصحيح؛ لثلاثة أوجه:

الأول: أنه الممكن الذي يرتبط به التكليف.

الثاني: أنه المأمور به في القرآن لقوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ يعني من الأرض من شرق أو غرب.

الثالث: «أن العلماء احتجوا بالصف الطويل الذي يعلم قطعاً أنه أضعاف عرض البيت».

ب التوجيهات المستفادة:

1 ـ توطين نفس الرسول ﷺ والمؤمنين به، حتى لا يضرهم قول السفهاء، وهم يعترضون على تحويل القبلة.

2 ـ الرد على المعترضين من اليهود والمشركين والمضطربين من المنافقين عند تحويل القبلة، وبيان أن الجهات كلها ملك لله، وحيثما اتجه المسلمون في صلاتهم فثم وجه الله، وهو سبحانه يهديهم إلى الحق، ويوفقهم إلى الخير في جميع أحوالهم وأحيانهم.

3 ـ خير الأمور أوسطها، والمسلمون يمتازون بالتوسط في الدين، والتوسط بين الأمم وقبلتهم في سرة الأرض ووسطها.

4 ـ فضل الأمة المسلمة؛ اختارها الله للشهادة على الناس في الدنيا، ولإقامة الحجة على الأمم يوم القيامة.

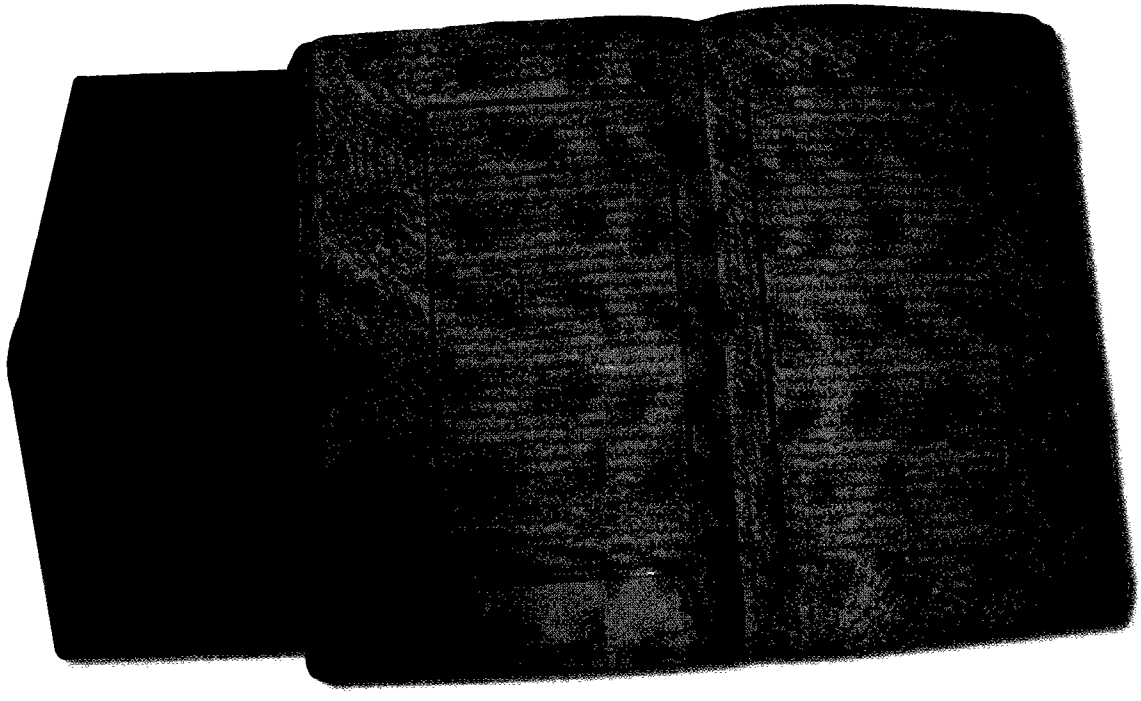

5 علوم القرآن في الآيات:

1 ـ للآيات سبب صحيح لنزولها وقد ذكرناه قريبا، وأن المطَّلِعَ عليه يفهم الآيات فهماً صحيحاً، ويعيش الأجواء التاريخية للنص، والوقع العظيم للأمر الإلهي بتحويل القبلة، في نفوس المؤمنين، والشانئين من أعداء الإسلام والمسلمين.

2 ـ الآيات من سور البقرة، وهي مدنية بالإجماع، أي نزلت بعد الهجرة، وحادثة تحويل القبلة وقعت بالمدينة بعد ستة عشر أو سبعة عشر شهرا من هجرته ﷺ، كما أن الآيات صريحة في الكشف عن جدال أهل الكتاب، واعتراضات المشركين والمنافقين. وهي تقرر أحكاماً تشريعية وتعبدية، وكل ذلك من خصائص القرآن المدني كما تقدم.

3 ـ القراءات:

- قرأ الجمهور ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ بالمد والهمز في (رؤوف) على وزن فعول. وقرأ الكوفيون وأبو عمرو (لرؤف) على وزن (فَعُل) وهي لغة بني أسد،ومنه قول الوليد بن عقبة:

وشَرُّ الطالبين فلا تَكُنْهُ يُقاتل عمَّه الرؤفَ الرحيمَ

- وقرأ الجمهور: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ بالياء في يعملون، فيكون خطاباً ووعيداً لأهل الكتاب، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي «عما تعملون» بالتاء، فيكون خطاباً ووعيداً لأهل الكتاب أو أمة محمد ﷺ.

4 ـ الآيات مُحْكَمَة واضحة، لا خفاء فيها، وتظهر بوضوح تام حكم التوجه إلى الكعبة في الصلاة، وموقف أهل الضلال من اليهود والمشركين والمنافقين من إحكام الأمر، وتحويل التوجه من بيت المقدس إلى البيت العتيق، فالآيات الثلاثة محكمة كلها، وليست من المتشابه في شيء.

5 ـ في الآيات دليل على وقوع النسخ في الأحكام، وقد ذكرنا إجماع العلماء على أن القبلة أول ما نسخ من القرآن، وأنها نسخت مرة واحدة، كما صحح ذلك ابن عبد البر، وقد استقر الحكم بعد سبعة عشر شهراً من هجرته ﷺ أي: بدءاً من أول الربع الثاني من السنة الثانية للهجرة النبوية.

6 ـ أما الإعجاز في الآيات فظاهر كما هو في جميع سور القرآن، ومن الصور البلاغية في الآيات الثلاثة:

- (ينقلب على عقبيه) استعارة تمثيلية، إذ مَثَّلَ الله تعالى من يرتد عن دينه بمن ينقلب على عقبيه.
- (لرؤوف رحيم) من صيغ المبالغة، والرأفة شدة الرحمة، وقدم الأبلغ مراعاة للفاصلة، وهي الميم في قوله «صراط مستقيم».
- (فَوَلِّ وجهك) أُطْلِقَ الوجه وأُرِيْدَ به الذات، من قبيل المجاز المرسل، من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل.

أيها الغالي أيتها الغالية هذا تمام كتاب «قصة القرآن وعلومه» والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

م	المراجع	المؤلف
1	مباحث في علوم القرآن	د. مناع القطان
2	الوجيز في علوم القرآن	د. صبحي الصالح
3	الواضح في علوم القرآن	د. مصطفى البغا - د. محيي الدين مستو